الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بن خلدون- تيارت-

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص فلسفة عامة الموسوعة بـ:

مفهوم التقدم عند الكواكبي

إعداد الطالبة:

سرباح حورية

إشراف:

أ.رمضاني حسين

لجنة المناقشة

د.لكحل فيصل.....رئيسا

أ.رمضاني حسين.....مشرفا و مقررا

أ.كرطالي نورالدين.....عضوا

الموسم الجامعي:2016 _2017

الإهداء

إلهي لايطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك... ولا تطيب الآخرة إلابعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

– إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة... ونصح الأمة... إلى نبي الرحمة ونور العالمين.

إلى من قال تعالى فيهما " وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا "

– الألماس الذي لا ينكسر... نبع العطاء الذي زرع بداخلي وعلمني طرق الارتقاء إلى من كلله الله بالهيبة والوقار... إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار... قدوتي الأولى أبي عزيز أطال الله فيعمرك.

– إلى ملاكي في الحياة... إلى معنى الحب والحنان... الزهرة التي لا تذبل إلى من تعجز الكلمات عن وصفها وتسكن أمواج البحر لسماع اسمها أمي الغالية أطال الله في عمرها.

– ملائكة الأرض... شقائق النعمان... الذين احتضنوني وزرعوا الورد في طريقي شقيقاتي.... ولهم مزيد التألق والنجاح.

ـ إلي اشراقة أسرتي أخي العزيز الذي أكرمني الله به وفقه الله .

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل اعملو فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنون

صدق الله العظيم

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم ،والصلاة والسلام على خير الهدى محمد صلى الله عليه وسلم

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، على ما أنعمت علينا وعلى ماغمرتنا به من جودك، فما كان هذا العمل ليتم إلا بمشيئتك وتوفيقك ياحنان يامنان، فتبارك إسمك، وتعالى جدك، ولا اله إلاغيرك

" من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

يطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكروالامتنان إلىالمؤطري،والمشرف على بحثيالأستاذرمضاني حسين الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته، فلا أملك إلا أن أدعو الله أن يبارك له في عمله وماله.

كما أتوجه بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من ساعدني في بحثي هذا من قريب أو بعيد

سرباح حورية

قائمة المختصرات

الرمز	معناه
الخ	إلى آخره
ج 1	الجزء الأول
تر	ترجمة
تق	تقديم
ص	صفحة
-	من - إلى
(.....)	علامة الحذف
د ط	دون طبعة
،	فاصلة
تع	تعريب
هـ	السنة الهجرية
م	السنة الميلادية
ت ط	تاريخ الطبعة
ق.م	قبل الميلاد

مقدمة

تتميز الظروف العربية الراهنة باشتداد الصراع السياسي سواء على المستوى الفكري أي في مجال التنظير السياسي، أو في مجال الممارسة السياسية أي واقع الدول العربية الإسلامية فأمتنا العربية اليوم تبين أن الكثير من أقطارها تعيش حالة تخلف وتبعية وفوضى وصراعات سياسية،من الناحية الاقتصادية معظم دولها تعيش تراجعا وتبعية اقتصادية لاعتمادها الكلي على البترول أو باعتباره عاملا مساعدا أو مكملا، أما الناحية السياسية فتتجه نحو الأسوأ لأن واقع السياسة العربية مخجل ومخيف في تطوراته وتداعياته، لأنه يعيش حالة من التخلف والتعصب، التطرف والإرهاب ما أوصلنا إلى حالة يأس وإحباط وتأزم، تحدد مصيره ظروف داخلية وأخرى جمع بينهما الصراع، الثورة والتخريب.

نتج كل هذا عن تدهور الأوضاع الاجتماعية والثقافية للشعوب العربية، فالتخلف الثقافي ساهم في تعميق الفجوات الاقتصادية والصناعية والتقنية بيننا وبين دول العالم الأول لأن محركها الثقافي يمثل قوة جبارة تفوق قوة محركنا المتواضع بشكل كبير.

ثقافة العرب اليوم ينعدم فيها الحوار والنقد والمواجهة فنتج عنها التنافر والتبعية والتقليد الأعمى، تعتمد على التلقين سواء في الخطاب السياسي أو الديني أو الاجتماعي، وهذا ما .تعكسه حضارتنا العربية الإسلامية التي تردت بسبب أفكارنا المحشوة بكثير من القناعات والآراء والتصورات والمفاهيم الباطلة والمغلوطة والمعوجة والمتخلفة، فالاعوجاج لا ينتج إلا الاعوجاج والغباء أيضا لا ينتج عنه سوى غباء والظلامية لا يخرج عنها إلا الظلام، ومن هنا نقول أن دور الثقافة المتوارثة هو الكبير والخطير والمحوري في تخلف الأمتين العربية والإسلامية رغم أن كل منهما تتحلى بمبادئ سامية وقيم راقية ومفاهيم سامقة لكن كل هذا حبيس الإدراج ينتظر الخروج إلى النور والتداول.

لم يصيب التخلف في أمتنا هذه المجالات بل اتجه إلى المجال العلمي والتكنولوجي مع أنه لا يوجد دين يهتم بالعلم كاهتمام ديننا الإسلامي به، بفضل هذا الدين تحولت أمه الإسلام من أمية لا تعرف القراءة ولا الكتابة إلى أمه علماء ينتشرون في كل مكان في العالم ينشرون الرحمة والخير والسلام، والقرآن الكريم شجع على السعي للعلم، والبحث والتفكير .

العلمي، وهذا سبب تطور الحضارة الإسلامية سابقا ما جعل أوروبا تستعين بمناهجها فزادت تطورا وتراجعت الأمة العربية بسبب اهتمامات الخارجة عن نطاق قطاعات البحث العلمي.

من هنا نلاحظ أن أمتنا تنحدر نحو الانقراض التدريجي منذ فترة طويلة وكلما تقدم الزمن ولاسيما إذا قارنا جمودها المحزن أو تراجعها المؤسف بالحركة المتفجرة التي يجري بها العالم المتمثل في الغرب المتطور والمتقدم والشرق المتخلف.

لكن لا يجب أن ننسى أن للشرق المختلف دور كبير في تقدم الغرب وتطوره ، لأن المسلمين كانت لهم حضارة أسهمت في رفع العالم، كان ذلك من خلال منظومة الإسلام التي تستمد فضلها من مصادر التشريع الإلاهي، فبينما كان العالم الإسلامي في قمة الحضارة والتمدن خلال عصور الخلافة الراشدية والأموية والعباسية وكانت أوروبا تعيش الجهل ،الهمجية البربرية،الرق والعبودية، وهذه حقيقة لا بل حضارتنا الإسلامية تقرها ولا تتغافلها وسط إرهاصات الغرب، فعلماء المسلمين في كل مشاربهم إبان عصور لم يخلفوا لنا سوى أمجادهم وكتبهم وتراثهم الذي نهلت منه كل الروافد المعرفية العالمية لأنه كان ثابتا واتسم بالمصداقية البحثية مما جعلهم مشاعل التنوير ودعاة الاستنارة ومجدين ومبدعين للعلم، فبنوا حضارة الحضارات وظلت، تترئ للإنسانية بتوابعها عبر القرون الوسطى حيث كانت الهمجية تسود أوربا، ومن عباقرة هذه الحضارة الإسلامية نجد الجاحظ الذي أعتبره العلماء مؤسسا لعلم الجغرافيا وعلم الأجناس ونجد أيضا البيروني الذي قاس محيط الأرض بواسطة معادلة رياضية وضعها وأكد على كروية الأرض وبين أن الأجسام تنجذب نحو مركزها وبين أن توالي الليل والنهار سبب دوران الأرض وليس الشمس أو النجوم والكواكب، وبين بدقة اختلافات المواقيت البلدان فوق خريطة الدنيا وبهذا نجده قد سبق **كوبرنيك** و**نيوتن** و**جاليو**وفي الرياضيات نجد**الخوارزمي** التي مازالت شهرته حتى الآن ولاسيما كمؤسس لعلوم الجبر فهو من وضع حساب اللوغريتمات التي تقوم عليها الرياضيات الحديثة، وكان أول من إكتشف العدد صفر ووضعه ضمن الأعداد، و**ابن النفيس** مكتشف الدورة الدموية في المجال الطبي و**ابن زهر** الذي مارس التخدير والجراحة و**الطوسي** عالم الفكر الشهير

بالإضافة إلى **الكندي ابن سينا، الرازي، ابن رشد** وغيرهم من العلماء والمفكرين الذين ساهموا في تطوير العلوم الإسلامية، وبتبدل الأحوال وانقلابها أصبحنا اليوم نعتمد على الغرب في كل شيء فاسحين له الطريق في التقدم والتطور بسبب تراجعنا الحاصل اليوم في مختلف مجالات العلوم وانشغالنا بصراعات لا تعني ولا تتم سوى المزيد من الدمار والتراجع الذي دفع القلة القليلة الباقية من علماء الأمة إلى التفكير بالهجرة وضياع جيل كامل من الشباب بسبب الخلافات السياسية والعرقية.

لذا لا يجب على أمتنا العربية الإسلامية أن تتجاوز الماضي وكل المعوقات وتدخل في مرحلة جديدة مغايرة لماضيها يجب أن تقوم بإصلاحات وتحولات في كل المجالات لتحقق التقدم و التطور معا.

والتقدم لا يحصل في مجتمعات، تعيش فوضى واضطراباتمتنقلة، كما يحصل اليوم في مجتمعات الغير مستقرة التي تعاني من مشكلات بنيوية في طبيعة خياراتها أو شكل العلاقة التي تربط الدولة بالمجتمع، فالمقدمة الضرورية لعمليات التقدم الاقتصادي والعلمي والصناعي هي الاستقرار السياسي والاجتماعي، وكل التجارب الإنسانية ومن يبحث عن التقدم بعيدا عن مقدمته الحقيقي والضرورية، فإنه لن يحصل إلا على المزيد من المشاكل والمآزق، التي تعقد العلاقة بين الدولة والمجتمع وتربكهما وتدخلهما في دهاليز اللاتفاهماللاثقة.

فالمجتمعات الإنسانية المتقدمة حضاريا تعتمد في بناء استقرارها الداخلي والسياسي والاجتماعي على وسائل الرضا والمشاركة والديمقراطية والعلاقة الإيجابية والمفتوحة بين مؤسسات الدولة والسلطة والمجتمع بكل مؤسساته المدنية والأهلية وشرائحه الاجتماعية وفئاته الشعبية لذلك يكون الاستقرار هو بمثابة النتاج الطبيعي الانسجام والتناغم بين خيارات الدولة وخيارات المجتمع بحيث يصبح الجميع في مركب واحد يعمل معا لصالحهم جميعا، فتغيب الاضطرابات السياسية والاجتماعية في هذه الدول.

فأمتنا اليوم تواجه تحدي كبير هو تجاوزهم التخلف الكبير والمتعاظمة بينهما وبين الدول المتقدمة ولذا تقوي الأمة على تجاوز هذه الهوة إلا عن طريق مشروع تنموي نهضوي شامل مؤيد برؤية

متبصرة لأهداف وغايات هذه النهضة المنشودة.وعليه فان النهضة مشروع تنموي وفلسفة إستراتيجية تترجم واقع المجتمع ورؤيته لطبيعة الحاضر والمستقبل.

ومن ثم فلا بد أن تكرس كل الإهتمامات وتحشد مختلف الطاقات في سبيل تهيئة الأجواء وتوفير الظروف المواتية لقيما نهضة تنموية في مختلف جوانب حياة المجتمع، نهضة متوثبة تحسن التعامل مع الثوابت والتغيرات، وتستغل بمهارة ما تلك من إمكانيات على محدوديتها في تحقيق ذاتها في معركة الوجود الكبرى، التي تتميز بتحديات عاصفة لتيار العولمة الذي يسعى بما أوتي من قوة قصد التمكين كوني أشبه ما يكون بقطار سريع يطلب من الجميع الركوب فيه والإطواء تحت رايته ولعل رهان المجتمع العربي في ربح هذه المعركة هو التركيز على الجبهة الداخلية بتقويتها ودعمها، بث روح الفاعلية فيما حتى تصبح أكثر قدرة على تحمل الصدمات ومواجهة إفرازات العصر المعلوم، وعليه فلا بد من السهر على تعبئة المجتمع وبث الأصل في نفوس أبنائه لاسيما السباب منهم.

ومعنى كلامنا هذا لا يعني أن المفكرين العرب المسلمين لم يفكروا في النهضة والبحث في تجاوز التخلف، فقد ظهرت فكرة النهضة العربية في القرى الثامن عشر والنصف الأول من القرن العشرين وأطلق عليها اسم اليقظة العربية، دعت هذه النهضة إلى انتشال اللغة العربية مما طرأ عليها من تقهقر وقدمت أدبا معاصرا للمرة الأولى من قرون، وعبر جمعيات سياسية بعثت هذه النهضة مشاعر الهوية العربية مجددا كما ناقشت قضايا الهوية للبلاد العربية المختلفة وعلاقتها بالرابطة العثمانية، ورفعوا رجال النهضة شعارات بالحرية والعدالة والمساواة لأنهم تأثروا تأثيرا بالغا بفلاسفة عصر الأوروبي، وكان من سمات النهضة أيضا انتشار المدارس والجامعات وتأسيس الصحف والمجلات، ولعل اهتمامهم الكبير كان حول قضية تخلف وانحطاط الأمة العربية،ومن أهم هؤلاء **عبد الرحمان الكواكبي** الذي أخذ يتلمس الطريق على مشارف العصر الحديث وتطلع إلى تغير الواقع الفكري والاجتماعي عن طريق إعادة بناء الذات والتعامل مع الآخر وفق رؤية مفتحة على الحضارات الأخرى وفتح باب الحوار مع الثقافات

الأخرى، ومواكبة أفكار التطور والتقدم،ومن هنا نطرح الإشكالية الموجودة في بحثنا وهي: **كيف استطاع الكواكبي أمامأدلجة الفكر والمعرفة وتأزم القيم الأخلاقية والاجتماعية واستبداد**

السلطة في السياسة أن يطمح لتحقيق الديمقراطية والإنصاف والحرية، وأن يحاول مواكبة التقدم وتجاوز التخلف بكل مجالاته؟وما هو مفهوم التقدم عنده؟ وهل كان لأفكاره صدى في الفكر العربي؟

تلك هي الإشكالية التي اخترناها في هذا الموضوع الذي يعد اليوم من أهم المواضيع التي طرحت وستطرح في عالمنا العربي سواء على المستوى الفكري أو على المستوى السياسي العربي الإسلامي وبناءا على هذا اخترنا موضوعنا وبالأخص ولعدة أسباب أخرى منها:

1. كون الموضوع هاما من الناحية السياسية والفكرية وخصوصا ما تعيشه البشرية اليوم من فوضى عارمة في شتى شؤون الحياة، إن لم نقل ذهاب الأمن والسلام وعدم الاستقرار سواء بين المواطنين أو بين المواطن والسلطة وبين الدول أيضا.
2. الدور العظيم الذي لعبه **الكواكبي** في تطوير أحوال المجتمع العربي في تجاوز التخلف ومواكبة التقدم مع رفع الاستبداد عن الأمم وتوعية الشعوب من أنواعه وكيفية علاجه.
3. أما السبب الأساسي هو هاجس نفسي لأن شخصية مثل **الكواكبي** وأفكاره تستحق الدراسة وللأسف الشديد أن الدراسات عنه إن لم نقل قليلة فهي نادرة ونطمح نحن بصدد بحثنا هذا الحديث عنه بالتفاصيل وإن سمحت لنا الظروف لذلك.

ولمعالجة هذا الموضوع بصورة شاملة، استعملنا مناهج مختلفة للإجابة على السؤال المطروح منها: **المنهج التاريخي** وذلك اعتمادا على أحداث ووقائع سياسية واجتماعية تدل على مراحل حياة الكواكبي وذلك بتتبع تاريخه وتاريخ فكره.

كما استعملنا **المنهج التحليلي** الذي لابد من خاصة في تقضي مدلول بعض المفهيم الغامضة بالإضافة إلى بعض أفكار **الكواكبي** التي احتاجت تحليلا بالإضافة إلى ذلك كنا في حاجة إلى اتخاذ **المنهج التركيبي الإستنتاجي**عن طريق ترتيب الأحداث الهامة والبارزة بشيء من الواقعية وذلك وفق ما يخدم الموضوع الذي نحن بصدد الحديث عنه

ويمكن كاستنتاج عام لإعادة بناء الفكرة على الصورة جديدة، الأمر الذي أدى بنا لاستنطاق الأحداث السياسية التاريخية العامة والمعروفة مؤخرا في وطننا العربي لنستنتج منها دور وأهمية الموضوع.

وأخيرا اعتمدنا **المنهج النقدي** حتى نضفي نوعا من الموضوعية على صيغة الطرح وقوفا على بوابة تطور الموضوع كما عرفها الفكر العربي المعاصر.

ولذلك قمنا بإنجاز هذا البحث وفق منهجية واضحة تمحورت ثلاثة فصول ونقد بمقدمة وخاتمة.

هذا وتعرضت في **الفصل الأول** منه بعنوان: "آليات ومنطلقات" حيث تناولنا فيه ثلاثة مباحث توضح لنا حياة **الكواكبي** والعصر الذي عاش فيه وبالتالي استطعنا معرفة أصل ومنبع أفكاره، إذ تطرقنا في المبحث الأول إلى "كرونولوجيا مفهوم التقدم" أما في لمبحث الثاني فخصص للحديث عن "السيرة الذاتية والعلمية **لكواكبي**"، أما في المبحث الثالث فخلصنا إلى ذكر "الأوضاع السائدة في عصر" وذكرنا فيه أهم معاصريه **محمد عبده جمال الدين الأفغاني ورفاعة الطهطاوي** مع التطرق لأهم أفكارهم.

أما **الفصل الثاني**: الذي كان عنوانه "نشاط الكواكبي في المجال الإصلاحي" وفيه ثلاثة مباحث كذلك، فالمبحث الأول خصصناه إلى ذكر "أسباب فتور الدولة الإسلامية" والمبحث الثاني الذي كان بعنوان "إصلاحاته من خلال عمله في الصحافة ووظائفه الحكومية" وفيه تحدثنا عن عمل **الكواكبي** في مجال الصحافة وأمال حكومية أخرى من خلالهما في تطوير الوضع الاجتماعي سواء في مجال محاربة الاستبداد أو تطوير الأمة العربية بينما المبحث الثالث كان بعنوان "الاستبداد و التخلص منه وتطرقنا من خلال هذا إلى ذكر طبائع الاستبداد وكيفية التخلص حسب رأي **الكواكبي**.

أما **الفصل الثالث** والأخير الذي كان عنوانه بـ: "فكر الكواكبي من الراهنية إلى الاستشراف" فيحتوي على أربعة مباحث الأول بعنوان "العلمانية في فكر **الكواكبي**"

وهنا ذكرنا أهم أفكار **الكواكبي** حول موضوع فصل الدين عن الدولة، كنا بينا رأيه حوا الموضوع بالإضافة إلى أهم المفكرين الذين اتهموا بالعلمانية والمبحث الثاني عنوانه "فكرة أم القرى" وكان هذا عبارة عن مؤتمر تطرقنا نحن لأهم تفاصيله بالإضافة إلى الفكرة الناتجة عنه وهي فكرة القومية العربية: وكان المبحث الثالث بعنوان "نتائج فكر **الكواكبي** على الواقع العربي" وفيه تطرقنا إلى أهم الأحداث التي وقعت في العالم العربي في السنوات الأخيرة من ثورات وإنتفضات شعبية من أجل تغيير الواقع والمبحث الرابع هو نقد وتجاوز تطرقنا من خلاله لأهم المفكرين المعاصرين الداعين إلى النهضة العربية وهو عابد الجابري بأفكاره استطعنا تجاوز أفكار الكواكبي وهذا لا يقلل من أفكار **الكواكبي** ولكن الجابري دعى إلى فكرة أهم لم يهتم لها كل رواد النهضة في العصر الحديث والمتمثلة في العقل العربي.

وأخيرا، ختمنا بحثنا بإظهار أهم النقاط المذكورة فيه، بالإضافة إلى أهم النتائج المتوصل إليها مع بعض الاقتراحات والتوصيات، وكأي بحث فان بحثنا لم يخلو من الصعوبات المتمثلة في نقص المعلومات حول صحافة **الكواكبي** وخاصة المقالات التي كتبها وجل المعلومات المتحصل عليها غير كافية.

الفصـــــل الأول:

آليـــــات ومنطلقـــــات

المبحث الأول: كرونولوجيا مفهوم التقدم.

المبحث الثاني: السيرة الذاتية و العلمية للكواكبي.

المبحث الثالث: الأوضاع السائدة في عصره.

المبحثالأول: كرونولوجيا مفهومالتقدم

التقـدم:Progress

"نظرية من صياغة **أبيه دي سانت بيير** بعد انتهاء الحرب الإسبانية، و كان وقتئذ يروج لصياغة عصبة الأمم التي من شأنها إرسال سلام دائم في أوروبا لمدة قرنين من الزمان، وقد استولت هذه النظرية على العقل الأوروبي إلى الحد الذي امتنع معه التشكك فيها و إلا اتهم صاحبه بأنه هرطيق".

والتقدمأيضا يعنيالتغيير والتدرج نحو الأفضل وهناك تقدم إلا ما لا نهاية progress a l'infini الذي نجده في الأعداد ويوجد أيضا تقدم تطوريévolutionaryprogressالذي يعرفه **جوليان هكسلي** بأنه تزايد في البيئة مع التحكم في هذا التزايد وعدم الاعتماد عليها.[1]

من خلال هذا التعريف نلاحظ أن **مراد وهبة** ركز في تعريفه هذا على الجانب النظري لمفهوم التقدم، و أهمل الجانب التطبيقي، وهذا ما سنجده في التعريف الموالي.

"فالتقدم عنده في كون الشيء موجود قبل الآخر بحيث لا يوجد الثاني إلا إذا وجد الأول"، يقسمه الفلاسفة إلى خمسة أقسام.

القسم الأول يكون التقدم فيه بالطبع ويكون المتأخر محتاجا إلى المتقدم كالواحد والاثنين.

أما القسم الثاني فهو تقدم في الزمان، أي عندما يكون المتقدم في زمن لا يكون المتأخر موجودا فيه.

والقسم الثالث فهو تقدم في الرتبة أي المتقدم له علاقة بالترتيب والمتقدم يكون أقرب إلى مبدأ معين وهو نوعان ترتيب بالذات كالأجناس أو بالاتفاق كترتيب التلاميذ في الصف نسبة إلى أستاذهم[2].

---

[1] مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، دار القباء الحديثة للطابعة و النشر و التوزيع ،القاهرة ،ط5 ،2007، ص 205.

[2] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج1 ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ، دط ، 1982 ، ص 321.

والقسم الرابع هو تقدم الشرف ، فيكون للمتأخر نقص شرف على المتقدم.كتقدم العالم على الجاهل أما الخامس فهو تقدم بالعلية، فالعلة توجد قبل المعلول.

لكن الفلاسفة المتأخرون أرجعوا هذه الأقسام إلى قسمين اثنين هما: "التقدم العقلي والتقدم الزماني، فالتقدم العقلي هو الارتباط المنطقي بين الشيئين، فإذا كان أحدهما مبدأ والأخر نتيجة كان الأول متقدما على الثاني تقدما عقليا أو ذاتيا، والتقدم الزماني هو أن يكون أحد الشيئين أقدم زمانا من الثاني".

التقدم: فيالفرنسية: Progrés وفي الإنجليزية: Progressوفي اللاتينية: Progress وهو السير إلى الأمام، الحركة إلى جهة معينة Progression وهو ضد التراجع والتأخر، نقول: تقدم القوم سبقهم ومنه تقدم الصناعة وتقدم التعليم وتقدم المرض وتقدم الجيش، والتقدم الحقيقي هو التقدم المتصل وهو متناه أو غير متناه، أما المتناهي فهو الذي يتجه إلى تحقيق غاية معينة من حد السابق إلى حد لاحق، كم هو تسلسل الأعداد أو تسلسل الأسباب الفاعلة ".

والتقدم نوعان إضافي أو مطلق، الإضافي هو الإنتقال من الحسن إلى الأحسن كما هو الحال في حالة التخلف حتى حالة الكمال ، أما المطلق فهو تقدم ناتج عن حتمية تاريخية أو كونية. لا يهمنا تحديد مفهوم التقدم الناتج عن الحتمية أو القدرة أو الغائية بل يجب تحديد مفهومه تحديدا دقيقا ، فنظامه يأخذ عند بعض الفلاسفة شكل خط مستقيم ، وعند البعض الآخر شكل المنحنى الصاعد أو اللولبي .... إلخ.

"وإن إختلفت صور وأشكال التقدم فهو في الجوهر، إنتقال تدريجي في نظام متصل من الأدنى إلى الأعلى أو من النقص إلى الكمال".وكمية التقدم Quantité de progrès في إتجاه (أب) عند **ليبنتز** هي حاصل ضرب كتلة الجسم في قوة سرعته والتقدمي progressif هو المنسوب إلى التقدم[1].

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص321

وهو المتجه إلى الأمام بخلاف الرجعي Regressif أو المتخلف المتجه إلى الوراء مثال ذلك قولنا أن التركيب تقدمي والتحليل الرجعي.

"والقياس التقدمي هو القياس المركب Sorité الذي يتميز بتناقض عموم موضوعاته وإشتمال نتيجة الأخيرة على المحمول الأول والموضوع الأخير، مثال ذلك قولنا: كل فقاري أحمر الدم، وكل لبون فقاري وكل آكل اللحوم لبون، وكل ثور آكل اللحوم، فإذن كل ثور أحمر الدم".

والقياس الرجعي هو القياس المركب الذي يتميز بإزدياد عموم محمولاتهوإشتمال نتيجته الأخيرة على الموضوع الأول والمحمول الأخير، وكل من التقدمي والرجعي هو تدريجي متصل، إلا أن التقدمي متجه إلى الأمام، والرجعي إلى الوراء، مثال ذلك: أن تقدم الفكر تقدم تدريجي، وضعف الذاكرة تراجع تدريجي (.....) إذ عنينا بالتقدم الشدة و الإزدياد كقولنا: تقدم الفساد، وتقدم الإجراء، و تقدم القمار، فإن المقصود بتقديم هذه الأشياء إزديادها وتفاقم أمرها.

التقدم : progrès (F), progress (E)

1- بوجه عام، مجرد السير إلى الأمام في إتجاه معين دون حكم على قيمة هذا السير.
2- بوجه خاص، إنتقال تدريجي من الحسن إلى الأحسن كالتقدم العلمي والتقدم الحضاري ويتميز التقدم بخاصيتين:
(أ) -أنهمسبوق بتخطيط.
(ب) -ويستهدف غاية إلى غير الحال في التطور.

وكثيرا ما تربط فكرة التقدم بالحتمية التاريخية، وبأن كل تطور يقود دائما إلى الأحسن وتلك الفكرة لا تخلو من المعارضة[1].

[1] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، المرجع السابق ، ص322.

و التقدمprogrèsهو:

أ : السير قدما، حركة في إتجاه محدد كتقدم الجرمية أو تقدم الإدمان على الكحول والتقدم إلى ملا نهايةprogrèssus in infinitumمسيرة الفكر الذي ينتقل مع توافر بعض الشروط، بالضرورة من كل حد إلى حد جديد مثلا متوالية الأعداد أو أيضا في البحث عن العلل الفعالة.

أما كم التقدم quantitasprogressus تعبر غالبا عن ما استعمله **ليبنتز** لاسيما في رسالة إلى برنولي commerciumepistolicum بتاريخ 1696/01/28 حيث يفسره هو حاصل ضرب كتلة جسم بتركيبة سرعته.

ويعني التقدم أيضا التحول المتدرج من الأقل حسن إلى الأحسن إما في مجال محدود وإما مجمل الأمور.

"ولا يشكل التقدم من جل الجوانب سوا تطور النظام" والتقدم على الإطلاق هو تعبير كثير الاستعمال، غالبا ما يجعلونه نوعا من ضرورة تاريخية أو كونيه وأحيانا يجعلونه قوة حقيقية تأثر في الأفراد و مآليه جماعية تتجلى من خلال تحولات المجتمع[1].

تقدمي (تصاعدي، تدريجي) progessif

أ : بالمعنى الاشتقاقي ما يسير قدما مقابل ما يتراجع ، إن مسير التوليف تصاعدي و إن مسيرالتحليل تراجعي.

ب: ما يشكل قدما.

ج: ما يحدث تدرجيا، بنحو متواصل إذا جاز القول Progressionتدرج، تقدم هادف، سير أو متوالية ،مسيرة إلى الأمام، سير في اتجاه محدد وهو تقدم حقيقي أي تدرج متواصل نحو هدف محدد و لا يمكن أن يتغير الاتجاه العام للتقدم الهادف الفردي أو الجماعي[2].

---

[1] أندريلالاند، موسوعة لالاندالفلسفية،تع:خليل أحمد خليل، المجلد H-Q2،منشورات عويدات،بيروت، باريس، ط2، سنة، 2001، ص 1055

[2] ابراهيم مذكور ، المعجم الفلسفي ،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، دط ، القاهرة 1403هـ – 1983م.ص58

" التقدم بالمعنى اللغوي هو السير إلى الأمام و النماء، الرقي،الازدياد،الرخاء و لكنه كما يعني السير نحو الأحسن فإنه قد يعني السير نحو الأسوأ ، و إذا تتبعنا معناه عند الفلاسفة لوجدنا أولا أن **أفلاطون** يرى أن الشباب يتقدم نحو كل شيء ، و يقول أيضا أنه في المدينة (الدولة) قد يحدث مع التقدم في الفضيلة التغير نحو الأسوأ أما **أرسطو** فيتحدث عن التقدم في نمو بني الإنسان و الثبات."

والمؤرخ **بوليبوس**Polybus يربطه بارتفاع مكانة الرومان وأيضا التقدم يرتبط بالمعارف والأعمال في عصره ، أما **شيشرون** فيرى أن التقدم جدير بالإعجاب بعد التحرر من طغيان الملوك.وفي المقابل ذلك نجد من بين الفلاسفة اليونانيين منيذم التقدم فالروائي. **خروسفوس**يقول: من يتقدم بخطى في سبيل المحافظة على الفضيلة فإنه مع ذلك في السقاء تكون حاله مثل حال من لم يقم بأي خطوة: و **سنكا Senca** يعد المتقدمين من بين الحمقى، لكن ينبغي مع ذلك تمييزه من سائر الحمقى،كما توجد فروق بين المتقدمين.

حث المفكرون الأقدمون في مفهوم التقدم عبر مراحل تاريخ الإنسان وفسروا الأساطير الخاصة به يقول: **اكسينوفانس**، لم تكشف الآلهة للناس ما هو مقدما لذلك ينبغي عليهم اكتشاف ذلك تدريجيا أما أفلاطون فيقول أن **ديدالوس** ، **أروفيوس** ، **بلاميدسمرسياسوأيمنيزس** وضعوا الفنون والصناعات للإنسان التي اختفت بعد الطوفان لكن الإنسان بحث عنها ووجدها حديثا ويقول **أرسطو** أن التقدم يكمن في الفنون والصناعات أساسا[1].

---

[1] عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ج1 من "أ" إلى "س"، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط1 ، 1984 ،ص1338.

(*)– **شيشرون** كاتب وخطيب وفيلسوف لاتيني ولد في 106ق م ، في اربينوم ومات في 7 كانون الأول 43ق م كان سليل أسرة مثقفة وميسورة في سن السادسة والعشرون اثبت موهبته كخطيب ومحام تم أصبح من كبار المحامين في روما وبعدها قصد اليونان و آسيا الصغرى ليتردد على رحال القانون و المحاماة المشهورين وليحضر دروس الفلسفة عين كقنصل من طرف الحزب الارستقراطي وبعد شغله لعدة مناصب هجر الشؤون العامة ورجع إلى روما وانصرف إلى القراءة والدرس ،فألف العديد من المصنفات في الفلسفة و الخطابة والبلاغة .ينظر جورج طرابيشي ،معجم الفلسفة ،ص413.

وعلى الإنسان أن يتم ما ينقصه، وهذا المساعد الجيد للإختراع لا يمكن أن يقال أن الزمان هو المخترع أو المساعد

الجيد للاختراع، ولا يجدر بنا التوقف عند منجازات الأقدمين أو استرجاعها لذلك فالتحرك هو الأفضل "و**أبيقور** قال بنظرة مشابهة، إذ قال إن العصر الذهبي المزعوم إنما كانت الحياة فيه شبيهة بحياة الحيوان ودعا الناس إلى المزيد من الثقافة والتكوين والأخلاق والتقدم في هذه المسيرة، وبالمثل يدعو **لوكرتيبوس** إلى المزيد من التجربة وإلى كشف النقاب عن الطبيعة، وإلى تنمية وتطوير الفنون والصناعات".

ما يراه هؤلاء يختلف عن فلاسفة العصر الوسيط، و كان أول من تفلسف في التاريخ عند المسيحية هو القديس **أوغسطين**، يقول عن التقدم بأنه مقصور على الإزدياد في التقوى ونماء الحياة الروحية المحضة.

أما **توما الإكويني** فربط التقدم بالمجال المعرفي فقال أن الروح الإنسانية تسعى إلى المزيد من المعرفة و هي تتقدم تدريجيا في هذا المجال من أجل البحث عن أصل الأشياء و أيضا **دونسإسكوت** ذهب إلى نفس المعنى في تقدم الجنس الإنساني تتزايد دائما معرفة الحقيقة.

لكن لم يظهر مفهوم التقدم بوضوح في العصور الوسطى الأوربية إلا عند **روجربيكون**، إذ قال إن من المهم وضع الأساس الذي عليه يستطيع العلماء في المستقبل أن يحققوا ما بدأ به على نحو جيد، إن الإنسان في المستقبل سيعرف الكثير مما هو لا يزال مجهولا عندنا اليوم وسيأتي اليوم الذيسيتعجب فيه أخلافنا من جهلنا بالأشياء و الفلسفة التجريبية ستكتشف أسرار الطبيعة والتغيرات المستقبلية في هذا العال[1].

---

[1] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة ، المرجع السابق ، ص1339

(*) **اكسينوفانس** فيلسوف قبل سقراطي ولد نحو 560الى470ق م كوزمولوجي و لاهوتي صاحب أول نقاش نعرفه بالإبستومولوجيا أقر بفكرة أساسية مفادها انه لا يكفي لزعم المعرفة قول ما هو صادق كلية يبدو انه اعتقد باستحالة المعرفة خارج نطاق الخبرة ينظر دليل إكسفورد الجزء الأول من إلى ط ص 79

ويأخذ مفهوم التقدم عند **فرنسيس بيكون** معنى أعمق فيقول أن احترام الأقدميين ينافي معنى تقدم العلم، فيشبه **ديكارت** أولئك الذين يتبعن **أرسطو** بنبات العليق الذي يحاول أن يصعد إلى أعلى من الشجرة التي تحمله فيصبحون جاهلون أكثر مما كان حالهم قبل الدراسة.

وثارت معركة في فرنسا خلال القرن السابع عشر حول القدماء والمحدثين، فنجد **فونتيل**Fontenelle يقول بأننا نقدر الأقدمين والأسلاف أكثر مما يستحقون لأن الزمان الحاضر أسمى من الزمان السالف فالأول يعتمد على التجربة و الزمان السالف معا.

"ويؤكد **فرنسيسبيكون** أن الحقيقة بنت الزمان و ليست بنت السلطة العلمية، وأن أفراد السلطة العلمية يشل مواهب الإنسان و بالتالي يعوق التقدم".

وفي القرن الثامن عشر كان مفهوم **التقدم** الشغل الشاغل للمفكرين والفلاسفة والمؤرخين والأدباء أهمهم **فولتير، روسو، هردر، شلر، لسنج، كنت** و **هيجل**، حيث ميز هؤلاء بين التقدم في العلم والحضارة و الصناعة وبين التقدم الأخلاقي والروحي في الإنسان. "فقال بعضهم بأن كلا النوعين متلازم مع الآخر وقال آخرون إن كليهما متعارض مع الآخر" يقول **جون جاك روسو** كلما تقدمنا علما وفنا نحو الكمال. كلما ازداد الفساد في أرواحنا و بهذا يكون روسوقد أنكر التقدم بحيث أن ما نكسبه من ناحية نفقده من الناحية الأخرى، فلا يوجد توافق بين التقدم في العلم و التقدم في الأخلاق، يقول بهذه الفكرة أيضا **شيفتسيري**و دعاة الأخلاق العاطفية[1].

وفي المقابل نجد **كوندروسيه**"يقرر أن العقل مرتبط بالخير الأخلاقي للإنسان، ويرى أن الطبيعة ربطت الحقيقة والسعادة والفضيلة ارتباطا لا انفصام له. ويرى **هردر**أن تقدم الإنسان مستمر لا حدود له ، كلما تقدم زاد كمالا".

---

[1] عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، المرجع السابق ، ص1340

(*)- **دونساسكوت**: فيلسوف مسيحي يلقب بالعالم المدقق SUBTILI ولد في اسكتلندا ما بين 23 ديسمبر 1265 و 18مارسسنة 1266 و توفي بألمانيا في 1308/11/08 ، كان يمتاز بالذكاء الشديد و كثرة التقوى درس في مدرسة للرهبان ثم انتقل للدراسةفي اكسفوردو باريس ينظر عبد الرحمان بدوي ، الموسوعة الفلسفية ،ج1، ص 148.

أما **امانويل كنت**Kant أول من درس معنى التقدم بعمق وتفصيل ويرى أن التقدم يسير من الأسوأ إلى الأحسن، ويسير نحو الكمال ويؤكد أن التقدم مستمر إلى غير نهاية وأنه تحقيق لحظة خفية بهدف تحقيق نظام كامل للدولة وقانون عالمي وحالة فريدة عنها الطبيعة، والخطة الخفية للطبيعة تقوم على الأساس أن الاستعدادات الطبيعية في الإنسان كما في سائر الأحياء قد قدر لها أن تنمو وتتطور.

وعليه فمن واجب الإنسان أن يحقق التطور من داخل ذاته، وعليه فإن تاريخ التقدم هو تاريخ الإنسان

"أما **هيجل** فيستبعد فكرة السير المتواصل نحو الكمال إلى غير نهاية في تعريفه للتقدم، فالتقدم عنده يأخذ تصورا تاريخيا، والتاريخ حسبه تقدم في الوعي بالحرية، وقانونية أي تقدم هو **الديالكتيك**"

أكد **أوجيت كونت** على التقدم و وضع له قانون بأطوار ثلاث: ديني، ميتافيزيقي ووضعي والتقدم عنده هو السير التقدمي للروح الإنسانية ولا يعني هذا أن التقدم عبارة عن خط مستقيم بل يسير وفق سلسلة من الترجيحات والذبذبات الغير متساوية إلى حركة وسطية تتحكم في هذا السير[1].

"وعند **هربرتاسبنسر**أن قوانين التقدم هي بعينها قوانين التطور الكوني : إنه يمضي خلال تفاضلات و زيادة مطردة في التنوع" .

---

[1] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة ، المرجع السابق ، ص1340

(*)– **كوندووسيه** فيلسوف و رياضي ورحل سياسة فرنسي ولد في 17ايلول 1743ومات في 08نيسان 1794لمع أولا في الرياضيات حيث نشر كتبا وهو في سن صغيرة وفي سن السادسة والعشرون دعي إلى العضوية فيا أكاديمية العلوم لكن حبه الشديد للمعرفة دفعه إلى استطلاع علوم أخرى ينظر جورج طرابيشي معجم الفلسفة ص 550.

(*)– **هردر** فيلسوف وكاتب الماني ولد في 25 آب 1744في موهرونغن في بروسيا الشرقية وتوفي في قايمار 18 كانون الاول1803احتل مكانة استثنائية في الأدب الالماني نظرا إلى تيار الأفكار الذي حركه: ودرس اللاهوت والفلسفة والطب تابع دروس كانط وارتبط بعلاقة صداقة مع هامان ثم قام برحلة إلى باريس1769درس من خلالها أعمال روسو واصدر مرتجلات نقدية ينظر جورج طرابيشي معجم الفلسفة ص 704.

التقدم عند **كارل ماركس** لا يأخذ المجال الطبيعي ولا قوانينه بل هو عبارة عن فكرة Idee حصل نتيجة صراع في المجتمع من نوع تلك التي نادى بها دعاة إصلاح حال العام، بل هي فقط تغييرات عامة عن أحوال واقعية للصراع بين الطبقات القائمة حاليا والتحقيق الثوري التدريجي للمجتمع الصناعي يفترض مقدما لتحقيق ذلك في تقدم تاريخي[1]

وعليه نلاحظ من خلال هذه التعريفات أن مفهوم التقدم يختلف باختلاف الفلاسفة والمفكرين وما يهمان نحن الآن هو مفهوم التقدم عند **عبد الرحمان الكواكبي**.

"طلب **الكواكبي** التقدم وعد أن تحقيقه منوط بإزالة الاستبداد أولا واقترح أن يتم ذلك وبالاعتماد على تكاتف الواعين وتهيئة الرأي العام للمشاركة في التغيير المنتظر وفي صياغة الهدف وتحقيقه بعيدا عن القوة والعنف وذلك لاعتقاده بأن كل شيء يتحقق بقوة وزمانمتناسبين مع أهميته وهو يريد الثورة أيضا بعيدا عن الانتظار المستكين ، لأنه لا يقوم بالثورة إلا من تأذى من الوضع فقام بطلب التغيير"[2]

المبحث الثاني: السيرة الذاتية و العلمية للكواكبي :

"ولد **عبد الرحمان بن بهائي بن محمد بن مسعود الكواكبي** بحلب في 23 شوال سنة 1271ه = 1855م لأسرة عربية قديمة في حلب، قيل إن جذورها تمتد من جهة

---

[1] عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، المرجع السابق ، ص1341.

[1] حسن السعيد ، جدلية الدين و الاستبداد (الكتاب الخامس من سلسلة رواد النهضة) ، مكتبة مؤمن قريش، ط1 ، 1421ه ، 2000م ، ص 78

(*)– **ديالكتيك**.ترجمت كلمة ديالكتيك إلى العربية بالجدلية و هي كلمة من الفعل اليوناني DIALOGEINالذي يعني تحديدا الكلام عبر المجال الفاصل بين المتحاورين كطريقة استقصاء وضعها زينون الإيلي قبل أن يكتمل شكلها عند أفلاطون التي تعني التقسيم المنطقي الذي يوصل المرء عبر المقارنة إلى اكتشاف المعاني الأساسية المجردة أو المثل ثم استعمل أرسطو هذه اللفظة أما في العصر الوسيطفكانت تعني المنطق الشكلي وعادت الجدلية من جديد على يد هيجل في القرن التاسع عشر فاكتسبت معنا فلسفيا جديدا وجعل منه قانونا يحدد مسيرة الفكر و الواقع ينظر مصطفى حسيبة ،المعجم الفلسفي:ص154.

الأب إلى **علي بن أبي طالب** وتمتد من جهة أمه **عفيفة بنت مسعود آل نقيب إلى محمد بن الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين الشهيد.**"

لكن هناك اختلافا حول مولد **الكواكبي** فالبعض من المفكرين يرى أن ولادته سنة1848م أما البعض الآخر يقول بسنة 1849م، وهناك من يرجح سنة 1851م، لكن آخرون يقول بسنة 1852م أو 1854م أو 1855م.

والتاريخ الصائب حسب المفكرين هو سنة 1855م كما ذكرنا السابقا، لكن السنة الموجودة في أوراقه الرسمية هي حوالي سنة 1848م ما يوافق 1265هـ كما ذكرها ابنه الدكتور **أسعد** وهو من طلب تصحيح هذا التاريخ من أجل دخوله للانتخابات والسبب يعود لصغر سنه، في حين أن ترجيحات المفكرين حول مولده بقيت متواصلة، فالباحث **سمير أبو حمدان** يقول سنة 1848 أما **عباس محمود العقاد** فيقول 1854 ويستدل بموت أمه فيقول أن أمه توفيت وعمره يناهز الست سنوات وكان ذلك عام 1276هـ وإذا قلنا بعام 1265 فقد يكون ناهز العاشرة من عمره[1].

رغم الإختلافات الموجودة حول تاريخ مولده والترجيحات الكثيرة فإن "التاريخ الأكثر ترجيحا هو المثبت في سجلات الأسرة و هو 23 شوال 1271هـ / 9 تموز (يوليو) 1855 وقد سجلت وقعة مولده من قبل والدته لحظة الولادة على حجر من المرمر الملصق على أحد

---

[1] حسن السعيد ، جدلية الدين و الاستبداد ، المرجع السابق ، ص23

(*) ينتسب عبد الرحمان الكواكبي من أبويه إلى علي بن أبي طالب ، فقد روى صاحب إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء نسب أسرته فيقول : أبي عبد السعود بن أحمد بن محمد بن حسن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي بن محمد بن أبي يحي المعروف بالكواكبي قدس سره ابن شيخ المشايخ و العارفين صدر الدين موسى الأردبيلي قدس سره ، ابن الشيخ الرباني المسلك الصمداني صفي الدين إسحاق الأردبيلي ابن الشيخ الزاهد أمين الدين ابن الشيخ السالك جبريل بن الشيخ المقتدى صالح ابن الشيخ قطب الدين أبي بكر ابن الشيخ صلاح الدين رشيد ابن الشيخ المرشد الزاهد محمد الحافظ ابن الشيخ الصالح الناسك عوض الخواص ابن سلطان المشايخ فيروز شاه البخاري ابن مهدي ابن بدر الدين حسن بن أبي القاسم محمد بن ثابت بن حسين بن أحمد ابن الأمير داود بن علي ابن الإمام موسى الثاني ابن الإمام إبراهيم المرتضى ابن الإمام مرسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين السبط الشهيد ابن الإمام علي ابن إبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين ينظر الرحالة ك عبد الرحمان الكواكبي ، محمود عباس العقاد ، مطبوعات المجلس ، دون طبعة، نوفمبر 1959 ص 30.

نوافذ غرفته كما يؤكد ذلك حفيده وسمي **عبد الرحمان**، وتقول **ليلى عدنان** في رسالتها عنه لقد شاهدت هذا الحجر بالتاريخ المكتوب عليه والتقطت صورة فوتوغرافية له".

وإذا إختلف المفكرين حول مولد **الكواكبي** فإنهم أجمعوا كلهم على نسبة الشريف والذي يعتبر فخرا لأسرته، بحيث ينتسب من أبويه إلى آل البيت. ومن هنا نستنتج تشيع **الكواكبي** وإدراجه ضمن رجالات الشيعة بحيث يقول الشيخ **محمد أغا برزك** في كتابه **طبقات أعلام الشيعة** تشيع الابن نابع عن تشيع الأب الذي عرف به طوال حياته بالإضافة إلى أسرته المتشيعة بالمذهب الشيعي وكل ما حصل لرجالها من أحداث جراء عقائدهم.

أما السيد **حسين الأمين** فيقول عن النصوص التي كتبها **الكواكبي** و هو متعمقا ومتأملا فيها بأنها تكشف عن الشيعة الثورية ويبرز ذلك من خلال تمرده على الاستبداد وما هو إلا تمرد شيعي يكشف عن أصول بعيدة المدى، ثم قال عنه بأنه استطاع أن يخفي تشيعه و وصفه بالحكيم بل و شبهه **بالأفغاني** في ظل الظروف التي عاش فيها.

"استدلال **آغا برزك** و استنتاج **حسين الأمين** لا يمكن الركون إليهما كحقيقة تاريخية، لا ترقى إليها الشكوك والطعون وإذا ما اتبعنا هذا المنهج خاصة في شقه الأخير (تمرد الشيعي على الاستبداد) فإننا سنكون أمام نماذج عديدة من أمثال السيد **عبد المنعم نديم**وينحدر نسبه هو الآخر إلى الإمام علي بن أبي طالب[1]".

وكذلك المفكر الإسلامي المعروف أبو الأعلى المودودي الذي ينتسب أيضا إلى الإمام حسين وسعيد النورسي رائد حركة الثورة وهناك أكثر من قرينة لا تدعم هذا التوجهتلتقي أسرة **الكواكبي** في شجرة نسب واحدة مع الصفويين (**صفي الدين الأردبيلي)**

---

[1] محمد جمال الطحان ، أعمال الكواكبي غير الكاملة ، سورية حلب ،ص ب ،1984،ص20

(*) : أما نسبه من والدته فجاء أن والده أبي السعود الشريفة عفيفة بنت بهاء الدين ابن إبراهيم بن بهاء الدين ابن إبراهيم بن محمد بن محمد بن شمس الدين الحسن بن علي بن أبي الحسن بن الحسن شمس الدين بن زهرة أبي المحاسن بن الحسن بن زهرة أبي المحاسن بن علي أبن المواهب بن محمد ابن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن احمد بن الحسن بن إسحاق المؤتمن بن الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الإمام الحسين السبط الشهيد ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، ينظر عباس محمود العقاد الرحالة ك عبد الرحمان الكواكبي ، ص 31.

رغم اختلاف الشعبتين الصفوية و الكواكبية، و هذا الاختلاف متوقع ينفي كل ما فيه من الغرابة على النتيجة التي وصل إليها الواقع الآن "فالشعبة الصفوية أخذت مذهب الأمامية حيث قام منها الأئمة على عرش إيران والشيعة الكواكبية تدين بمذهب أبي حنيفة من أئمة السنة لأنه المذهب الذي غلب على المدينة حيث درجوا وتعلموا وأنجبوا الأبناء المتعلمين والأساتذة المعلمين، وربما كان من أتباع صدر الدين أحناف كثيرون كما يعلم من كثرة مريديه الترك المتنقلين إلى إيران في أسر **السلطان تيمور**".

وإذا صح هذا فإن ما استنتجه العقاد صحيح كان "أتباع**الكواكبي** للمذهب الحنفي لا يمنعه أن يدعوا إلى وحدة المذاهب وإقامة الإمامة على غير قواعد الخلافة في الدولة العثمانية، فربما كان هذا التصرف بين الشعبتين على المنهج المنتظر من كليهما قرابة باطنية تمحو ما يتراءى للنظر من ظواهر الإخلاف".

"للكـــواكبي أسرة متعلمة ذات نفوذ علـــمي و إداري، وتوارثت على نقابة الأشـــراف فضـــلا عما عـرف عنهم بأنهم أهـــل دين و ورع وزهد وكـــرم وشـــرف فأبـــوه، **أحمد بهائـــي بن محـــــمد بن مسعـــــود الكـــــواكبي** المولـــود عـــــام 1245هـ ، 1829م أمـــــين الفتوى و المـــدرس في الجامع الأموي بحلب وقد تلقى علومه في حلب وعرف بالذكـــــاء والأخلاق وخلف وراءه ولدين أحدها **عبـــــد الرحمان الكـــــواكبي**"، أما أمه **عفيفة** بنت **مسعـــــــــود آل نقيب**إبنة مفـــتي أنطـــاكيا جـــدها من الأشـــــراف وهو **أبو محـــــمد إبراهيم** الـذي عـــاصر **أبو العـــــلاء المعـــري** وقد مدحـه بقصيدة[1].

"ففي بيتيعتز بنفسه وحسبه وعلمه وجاهه ترعرع **الكواكبي**وكان البيت أكبر التأثير على شخصيته، وذلك بما شهر عن ذلك البيت من تقاليد وصفات وشيم تشبع بها الفتى منذ نعومة

---

[1] حسن السعيد ، جدلية الدين و الاستبداد ، المرجع السابق ، ص25.

(*) : و يرى في عمود النسب لأبيه اسم صفي الدين الأردبيلي و من ذريته اسماعيل الصفوي الذي رحل إلى بد الروم و تزوج سيدة من حلب ثم تنقل إلى بلاده و خلق بها أجداد الأسرة الكواكبية ن ينظر عباس محمود العقاد ، الرحال ك عبد الرحمان الكواكبي ص 31.

أضفاره، لكن طفولته سرعان ما اهتزت و امتلأت حزنا بموت والدته التي توفيت عام 1859م (1276هـ) وهو في الخامسة من عمره ،

فكفلته خالته**صفية آل نقيب**، وكانت من نوادر النساء في الشرف، عرفت بالأدب وكياسة وكبر العقل."

ثم اصطحبته خالته صفية معها إلى أنطاكيا فتعلم القراءة، الكتابة واللغة التركية كما حفظ القرآن أيضا، بعد هذا رجع إلى حلب ليكمل تعليمه فأضاف إلى هذا التعليم اللغة الفارسية وعاود مرة أخرى إلى أنطاكيا بعد مرور سنة كاملة بحلب وكانت العودة لحلب سنة 1282هـ/1865م فدخل المدرسة الكواكبية التي كان يديرها أبوه.

تعلم بمدرسة والده علوم الشريعة، الأدب، الرياضة والطبيعة و اجتهد بنفسه في دراسة العلوم الأخرى كعلوم السياسة والمجتمع ، التاريخ والفلسفة[1].

"وهكذا تسنى للفتى، في وقت مبكر من عمره الإطلاع على مجالات شتى في عالم المعرفة، وقد ساعده شغفه بالقراءة وإنكبابهعلى التهام الكتب قديمها وحديثها وعلى صقل شخصيته مع انفتاحه على آفاق رحبة، وسرعان ما اكتشف ذاته و واقعه وما يحيط به من مآس وتحديات واستبداد".

فالفترة التي عاش فيها **الكواكبي** بمدينة حلب عرفت ازدهارا كبيرا بسبب موقعها الجغرافي قبل فتح قناة لسويس فكان يأتيها الزائرون من الغرب والشرق لأغراض تجارية خاصة الهندية والأوروبية مما أثر على الفكر السوري والحلبي خاصة، فكان الأوربيون.

ينقلون أفكارهم و آرائهم بالإضافة إلى اتجاهاتهم بحيث نقل الإيطاليين حيثيات ثورتهم القومية والفرنسيين نقلوا أيضا ثورتهم الدستورية[2].

---

[1] حسن السعيد ، جدلية الدين و الاستبداد ، المرجع السابق ، ص25

[2] محمد جمال الطحان ، أعمال الكواكبي غير الكاملة ،المرجع السابق ص20، 26

مما أثر في فكر **الكواكبي** وخاصة ما وصله من الفلاسفة والمفكرين الغربيين مثل **الفييري** صاحبكتاب الاستبداد والذي أشار إليه الكواكبي في كتابه **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**[1].

فاهتم بموضوع الحرية في سن العشرينيات ، شخص عرض الواقع المعاش آنذاك وحاول إيجاد حلول لها أو معالجتها، كشف من خلالها عن مظالم التخلف، الجهل الفساد، فرفض الظلم بكل أنواعه وحاربه ووقف ضد الولاة الفاسدين الحاكمين لحلب في ظل الحكم العثماني فكشف ظلمهم و استبدادهم وأصبح بذلك مشهورا ولقب بأبو الضعفاء لنصرته لهم والدفاع عن حقوقهم فكان يساعد المحتاجين والمظلومين.

كان يمتاز بشخصيته لامعة، بمواهب فذة وكان له تأثير كبير ومهم على الآخرين فعينوه رجالات الدولة كمحررا في جريدة **الفرات** وكانت تصدر هذه الأخيرة وحدها في حلب، تنطق بلسان الدولة وباللغتين هما العربية والتركية، كانيتقاضى ثماني ليرات مقابل عمله في صحيفة **الفرات**و أعتبر هذا الأجر ضخما بمقارنته مع زملائه الموظفين الذين يفوقونه سنا وخبرة. "وكأن الدولة أرادت بإسناد هذا العمل الرسمي إلى السيد **الكواكبي** أن شتري قلمه وأن تكتم فمه ولكن ظنونها ذهبت بددا" واستمربالعمل في هذه الجريدة مدة أربع سنوات (1872 -1876م) لكنه رأى أنها لا تفي بغرضه فهجرها ليصدر صحيفة خاصة وهي صحيفة **الشهباء** عام1877م فكانت أول صحيفة تصدر باللغة العربية في حلب لكن لم يصدر منها سوى ستة عشر عددا ثم أغلقها والي حلب كامل باشا القبرصي.

عين **الكواكبي** سنة 1878 كعضوا فخريا في لجنتي المعارف والمالية لكن المنصب لم يغريه وحبه للإصلاح استمر وأسرع لإنشاء صحيفة أخرى تحت عنوان اعتدال سنة 1879م باللغتين العربية والتركية وصدر منها عشرة أعداد[2]

---

[1] عباس محمود العقاد ، الرحال ك عبد الرحمان الكواكبي، دط ، نوفمبر 1959 ، ص42

[2] حسن السعيد ، جدلية الدين و الاستبداد ، المرجع السابق ، ص26 -27

"فأصابها ما أصاب **الشهباء** لصراحتها في نقد الإدارة وتلميحها إلى وساوس **السلطان عبد الحميد** ويئس الكواكبي من إدارة رسالة الإصلاح بالكتابة المحجور عليها في الصحافة المعتمدة بالتعطيل، فقبل العمل في وظائف الحكومة وتولى في هذه الوظائف ظروبا منوعة من أعمال الإدارة والقضاء والتعليم".

ظل ينتقل من وظيفة إلى أخرى وفي كل أعماله عرف بالنزاهة والصراحة مما ولد له الأعداء الذين أفسدو ماله ورزقه وأرضه وحتى مرافقه ويتهموه بكل الجرائم الواقعة في عمله " كلما نشبت فتنة أو وقعت جريمة لصقت به الفرية العاجلة، وضعت الجاسوسية صنيعها في تلفيق الأسانيد و تلقين الشهود وتدبير المحاكمات وينقضي الوقت في شغل شاغل من هذه التهم ومن جهوده وجهود أنصاره في دفع شرها ورد كيدها ومنها ما يبلغ به الخطر مبلغ الاتهام بالخيانة وعقوبة الإعدام .....".

تعرض الكواكبي للظلم الشديد وسجن وصودرت كل ممتلكاته، وفي هذه الأثناء كان منشغل بالتأليف، فكان يضع فصول كتابه أم القرى الذيقال عنه ابنه أسعد الكواكبي بأنه بيضه وهو في حلب، وكما قال كامل الغزي عنه بأنه اطلع عليه هو في حلب، وكان أيضا يضع أفكار لكتابة الثاني "**طبائع الاستبداد**".

وفي هذه الفترة عينته السلطة العثمانية نائبا شرعيا في قضاء راشيا لولاية سورية، فوافق **الكواكبي** من أجل التخلص من الإلحاح الشديد للسلطة العثمانية

وإصرارها عليه، لكنه كان يريد الهجرة إلى مصر دون علم أي أحد و بلغ الجميع بأنه ذاهب لزيارة اسطنبول[1].

---

[1] عباس محمود العقاد، الرحالة ك عبد الرحمان الكواكبي ، المرجع السابق ، ص 41-42

[*] _ **السلطان عبد الحميد** ولد السطان عبد الحميد الثاني يوم الأربعاء في 21 سبتمبر أيلول عام 1842م هو ابن السلطان عبد المجيد من زوجته الثانية ، فقد أمه و لم يتجاوز عمره سبع سنوات تعلم اللغتين العربية و الفارسية و درس كثيرا من الكتب الأدبية على يد أساتذة متخصصين، بويع بالخلافة وعمره أربعة و ثلاثين سنة 1876م, و يعتبر من أعظم السلاطين في مجالات العثمانية في عصر الانحطاط ، ينظر إسماعيل أحمد ياغي ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث،ص324.

سافر إلى القاهرة في منتصف شهر تشرين الثاني سنة 1317هـ_1899م فالتقى هناك بالمفكرين والأدباء للحركة الفكرية في مصر "وهناك ضاع صيته إبان نشر مقالات طبائع الاستبداد في صحيفة المؤيد لـ علي يوسف، وبعد إصداره كتاب أم القرى باسم مستعار هو السيد الفراتي ثم أصدر طبائع الاستبداد تحت اسم الرحالة ك وكتب فصولا من أم القرى في صحيفة المنار سنة 1318هـ- 1900م بعد حذف اقترحه محمد رشيد رضا تحسبا من السلطة".

وفي سنة 1319هـ _1901م قام برحلة إطلاعية إلى البلاد العربية والإسلامية ليدرس أحوالها وهناك دون خواطره ليصدرها في كتاب في مساء الخميس من عام 6 ربيع الأول سنة 1320هـ الموافق لـ 14 حزيرانعام 1902م توفي الكواكبي بالقاهرة متأثرا بالسم الذي دس له في فنجان القهوة في مقهى يلدز قرب حديقة الأزبكية.

قيل أن أعوان **السلطان عبد الحميد الثاني** هم من وضعوا له السم في القهوة، "فبعد أن احتسى القهوة بنصف ساعة أحس الألم في أمعائه فانتقل إلى داره وكان معه إبنه **كاظم**، ثم في منتصف الليل ذهب ابنه لإحضار الطبيب ولما عاد ومعه الطبيب وجداه ميتا، وفي اليوم التالي أن السلطان **عبد الحميد الثاني** أحد أعوانه **عبد القادر القباني** صاحب ثمرات الفنون التي كانت تصدر في بيروت، أن يقصد محل إقامة الكواكبي ويحرز جميع أوراقه و يرسلها إليه وقد فعل ذلك في اليوم التالي لوفاته".

ويقول حفيد **عبد الرحمان الكواكبي** أنهم قاموا بتفتيش كل ما في البيت ومصادرة جميع الأوراق والمخططات بما فيها مسودات كتابيه **العظمة لله و صحائف قريش**، إلا مخطوط **طبائع الاستبداد** المعدل الذي رماه عمه **كاظم** في القمامة وأحضره بعد انتهاء عملية التفتيش.

دفن **الكواكبي** في مقبرة باب الوزير على سطح جبل المقطم، وبعد مرور أربعين سنة من وفاته نقلت رفاته وسط احتفال ديني كبير إلى مقبرة المشاهير في شارع ألعفيفي بمنطقة باب الوزير[1].

---

[1] محمد جمال الطحان الأعمال الغير كاملة للكواكبي، ، المرجع السابق ، ص 22- 23

تشرين الثاني =نوفمبر

حزن الأدباء و المفكرون بعد فقدانه **الكواكبي**، ورثاه كثيرون منهم مصطفى **صادق الرافعي**.

سلوا حامليهل رأوا حول نعشهملائكة من حارب حلفحارب وهل حملوا التقوى
إلى حفرة الثربوساروا بذلك الطود فوق المناكب
وهل أغمدوا في صدره صارما إذا تجرد راع الشرق أهل المغار.
فكم هزه الإسلام في وجه حادث فهز صقيل الحدغضب المضاربأربحسرات في النفوس
تهافتت لها قطيع الأحشاء من كل جان
وكتب على قبره على صفحة من مرمر بيتان **لحافظ إبراهيم**.

هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقىهنا خير مظلومهنا خير كاتب
قفوا واقرأو أم الكتاب و سلمواعليه فهذا القبر قبر الكواكبي.

"وهكذا انتهت قصة **الكواكبي** مع الاستبداد، بأن أقفلوا قلبه الكبير عن الخفقان بيد أن أفكاره ظلت تطارد الاستبداد وتتلمس طريقها إلى المستقبل المنشود، رغم أنف الطغاة"[1].

المبحثالثالث: الأوضاع السائدة في عصر

"ولد **الكواكبي** حول منتصف القرن التاسع عشر، وتوفي بعد ختامه بسنتين، فحياته على وجه التقريب هي النصف الثاني من القرن التاسع عشر في ملتقاه بطلائع القرن العشرين وهي حقبة من حقب التاريخ يلوح عليها وكأنها نشطت من عقال، فكر شيء فيها ينفر من الجمود والركود ويتحفز للحركة والوثوب إلى التغيير" ففي القارة الأوروبية امتدت الكشوفات العلمية والنزعات الفكرية، وامتازت هذه الفترة بالاندفاع نحو المجهول بالإضافة إلى الثورات والانقلابات بوجود مذاهب جديدة خاصة بالفكر والأخلاق ومن أهم هذه المذاهب مذهب **داروين** عن التطور وتنازع البقاء مذهب كارل ماركس عن الرأسمالية مذهب

حزيران = جوان

[1] حسن السعيد ، جدلية الدين و الاستبداد ، المرجع السابق ، ص49

نيتشه عن السوبرمان، مذهب المدرسة الطبيعية عن حرية الفن والأدب، مذهب الديمقراطية عن الحكومة الشعبية ، أما المجال الصناعي فعرفت أوروبا تطورا كبيرا من اختراعات كالطبيعة الباخرة والبندقية .... إلخ.

لكن ميدان العمل والحياة فعرف الحرية و الديمقراطية، ففي إنجلترا تحرر المواطنون وأصبح لهم الحق في المشاركة في الحكومة بين أصحاب الأموال وجماعات العمال أما فرنسا فتحول النظام الإمبراطوري إلى الديمقراطي يفصل الثورة التي كان لها صدى كبير في العالم كله وألمانيا اجتمعت فيها القومية بتوحد ولاياتها بعد عناد طويل من الانقسام.

أما إيطاليا التي كانت تعاني من قضايا عديدة: الاستقلال، الوحدة، السلطة الدينية والحكومة الشعبية وكانت في اضطراب شديد من هذه القضايا، لكنها ثارت قبل منتصفالقرنوجمعت شملها تحت راية واحدة وفصلت الحكومة الإيطالية في قضية السلطة الدينية وأيضا قضية الملك والدولة، ثم فصلت في قضية الحكم فأقامت قواعد النيابة الشعبية فتطورت وأصبحت قادرة على دخول سباق الاستعمار، فكانت كغيرها من الدول الأوروبية طامعة في أسلاب غيرها بعدما كانت مطمعا لغيرها[1].

"هذه نبذة عاجلة عن حركات الغرب في النصف الأخير من القرن التاسع أوجزنا فيها القول عن أمم أربع من أممها التي سرت أخبارها وأخبار قضاياها إلى الشرق العربي وبلاد الدولة العثمانية، وهي على تفاوتها في كل ظاهرة من ظاهر السياسة والثقافة تشترك في خصلة لا تغيب عن واحدة منها في خبر من أخبارها، وهي المطالبة بالحقوق و الحريات"[2].

أما العرب فكانوا تحت الحكم العثماني حيث فتح الأتراك العثمانيين الدولة العربية في مطلع القرن السادس عشر ميلادي فظلت طوال القرون الثلاثة الأولى من حكمهم في عزلة تامة عن العالم الخارجي فأوروبا عرفت نهضة علمية وأدبية فالإضافة إلى الكشوفات الجغرافية والحركات

---

[1] عباس محمود العقاد، الرحالة ، المرجع السابق، ص 24-25

[2] عباس محمود العقاد، الرحالة، المرجع السابق، ص 24-25

الاستعمارية وكذلك إلى الثورات الصناعية والسياسية وحتى الاجتماعية التي غيرت أوروبا وطورتها، لكن العرب كانوا منغلقين عن أنفسهم فيظل الحكم العثماني فلم يعرفوا الاختراع ولا التطور ولا التقدم[1]

لم يكن حكم أكثر العثمانيين حكما صالحا، "ولم يسوسوا الأمم سياسة عادلة و كانوا شجعانا مقاتلين، ولم يكن أغلبهم ساسة عادلين عنوا بالحرب أكثر ممن عنوا بالإرادة ونظم الحكم ، ومهرو في الفتح أكثر مما مهروا في إقامة صرح العلم ومقابلة السير بالحضارة، فزاد العالم الإسلامي تدهورا على توالي الأزمان، ظلمة حالكة ومحنة شاملة وجهل مطبق وظلم فادح وفقر مدقق" مما أدى إلى تفكك الدولة العثمانية وانحلال الولايات العربية وظهور التمرد على السلطة المركزية بالإضافة إلى انتشار الظلم والاستبداد، وبدأت الدولة العثمانية تفقد ممتلكاتها باحتلال النمسا وروسيا بعض من أراضيها[2] .

عرف العالم الإسلامي بانعزاله عن العالم فلم تكن لهم أي اتصالات مع باقي الدول ولاسيما الأوروبية وهذا ما جعل العرب يتأخرون في المجال الثقافي العلمي الصناعي وحتى السياسي، و لو كان لهم اتصالات لما وصلوا إلى حالتهم هذه، بحيث وقف المسلمين في علمهم على العلوم القديمة من فقه، نحو وصرف فلا تطور في الصناعة ولا اختراع ولا إتقان للقديم "والولايات من مصر،الشام ، العراق و الحجز متدهورة، متضعضعة، قد أمات نفسها توالي الاستبداد عليها، العلم فيها كتاب ديني شكلي يقرأ، أو جملة تعرب أو متن تحفظ أو شرح

---

[1] علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب، في عصر النهضة 1798، 1814، الأهلية للنشر و التوزيع، ت.ط، 1975، 1978 ،1981، 1983، ص13، ص14.

[2] أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي لبنان ، بيروت، دط، ص6.

(*) – **مذهب داروين** :daruwin1809-1882 استمر على نهج لامارك بحيث أعاد عالم الطبيعيات تشارلز داروين تبني فرضية تطور الأنواع وقد نشر داروين كتابه أصل الأنواع عام 1859والذي طرح فيه نظريته في النشوء والارتقاء مما زعزع القيم الدينية وترك أثارا سلبية على الفكر في العالم.ينظر مصطفى حسيبة .المعجم الفلسفي .ص218

على متن أو حاشية على شرح، أما علوم الدنيا فلا شيء منها إلاحساب بسيط يستعان به على معرفة المواريث، أو قيس من فلك قديم يستدل به على أوقات الصلاة"[1].

أما مجال الثقافة والعلم، فكان العلم حكرا على أسر معينة و طبقة العلماء هي طبيعة ذات امتيازات وسط المجتمع فقد أدخلوا المطابع إلى الدولة وسمحوا بطباعة الكتب العلمية والتاريخية والدينية الإسلامية فقط وهذا ما نصت عليه الفتوى وكانوا هم المشرفين عن التربية والتعليم في الدولة والعالم العربي كله، فكان الأزهر أضخم هذه المؤسسات العلمية، إذ يحتوي على سبعين أستاذ خلال القرن الثامن عشر وله عدة فروع في المدن المصرية، أما بلاد الشام فكانت دمشق وحلب أهم مركزيين للثقافة وكانت دمشق تضم حوالي خمسة وأربعين مدرسة خلال القرن الثامن عشر الميلادي، أما بغداد والبصرة والموصل والنجف وكربلاء هم أهم مراكز الثقافة في العراق، أما مكة المكرمة والمدينة فهما أهم المراكز الثقافية في العالم الإسلامي.

فالمجتمع العربي الإسلامي في العقد العثماني عرف تراجعا كبيرا اجتاحه التشتت "فما كان القرن التاسع عشر ينتهي حتى بدأت الأطر الاجتماعية القديمة بالانهيار، وتراجعت القيم الاجتماعية القبلية لتحل محلها قيم جديدة مستوردة من الغرب في المسكن والملبس والمأكل والمشرب واختلاف وسائل الترفيه والتسلية وبين المحافظين أنصار التقليد القديم الذين بذلوا كل ما في وسعهم لمقاومة تيار التفرنج و صده"[2]

" كان من نتائج اتصال العرب بالغرب أن تعرفوا بالحركات السياسية وأنظمة الحكم الغربية، والمبادئ التي كانت بها تلك الحركات ، والأسس التي قامت عليها تلك الأنظمة اقتبسوا منها مفاهيم جديدة كالحرية والديمقراطية والدستور (المشروطية) والوطن والوطنيةوالأمة والقومية (الجنسية)"[3]فبدأ وعي الشرق يستيقظ وضم زعماء مصلحين لأحوال العالم العربي يشعرون بآلام شعوبيهم، أدركوا الأخطاء المحيطة بهم ، شخصوا الداء و وجدوا الدواء، فكل مصلح حاول الإصلاح على طريقته حسب ثقافته وبيئته، فالكل منهم ينظر من زاوية تناسبه و

---

[1] أحمد أمين ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، المرجع السابق. ص6

[2] علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب ، المرجع السابق ، ص16.

[3] علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب ، المرجع السابق ، ص 99.

تناسب شعبه، فالإصلاح نابه من المشكلة التي يعاني منها هؤلاء الشعوب، لكن النتيجة كانت صادمة ، فعانى المصلحين من التكذيب والتشريد وحتى القتل واتهموا بالخيانة "فمن نادى بالمساواة في العدل بين الرعية من غير نظر إلى جنس أو دين إتهم بمحاربة المسلمين ومن نادى بتنظيم الجيش على الأساليب الحديثة اتهم بالتفرنج والخروج على التقاليدومن نادى بتأسيس مجلس شوري اتهم بمحاربة السلطان والتحريض على الثورة والعبث بالنظام، ومن نادى بإصلاح العقيدة والرجوع بها إلى الأصل الدين اتهم بالإلحاد، وهكذا وهم على هذا صابرون مجاهدون" لكن أفكارهم بقيت وآرائهم لا تزال حية فمحاولتهم في إصلاح الوضع السياسي بجحت وآرائهم لا تزال، فعلى أيديهم تقدم الشرق، وهذه الخطوات تستحق التقدير.

"كانت ردود الفعل الأولى، عند المفكرين العرب، على مظاهر الضعف والفساد والانحلال التي أصابت مجتمعهم، ردودا دينية، وكانت أقوى الحركات الفكرية عندهم وأكثرها هي الحركات الدينية" عرفت هذه الأخيرة بالحركات والدعوات الإصلاحية الحديثة وكأول دعوة من هذه الدعوات هي الدعوة الوهابية وتعتبر كأول رد فعل ديني على مفاسد المجتمع العربي في العصور الحديثة، وتقوم هذه الدعوة على عدة مبادئ أهمها: العودة بالإسلام إلى صفاته الأولى، التوحيد، إنكار تأويلالقرآن، فتح باب الاجتهاد، التقشف في العيش وإجبار الصلاة [1].

امتازت هذه الدعوة بالنجاح والانتشار في جميع أنحاء العالم الإسلامي لكنها عرفتبالشدة والتصلب وعدم التسامح.

" مذهب الشوكاني اسمه نتيجة لمؤسسه **محمد بن علي الشوكاني** وكان هذا المذهب بمثابة صدى لأفكار الوهابية، ودعا هذا المذهب إلى اعتماد كتاب الله وسنة نبيه في الأحكام الدينية، رفض التقليد، تنقية الدين من البدع والضلالات، الدعوة إلى الاجتهاد، وجمع الأحاديث الصحيحة في كتاب واحد والإصلاح الاجتماعي".

[1] أحمد أمين ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، المرجع السابق ، ص9.

الأولوسيان في العراق: صاحب هذا الاتجاه**أبو الثناء شهاب الدين** من الشوائب، إتباع السلف في مسائل العقيدة و التأثر بالتصوف.

الحركة السنوسية: مؤسسها **محمد بن علي السنوسي** مولود بالجزائر مبادئها تقوم على: العودة بالإسلام إلى نقائه الأول، اعتبار الكتاب والسنة مصدر للشريعة الإسلامية فتح باب الاجتهاد، تنقية الدين من الضلالات، الإيمان بما تدعيه الصوفية من الرؤيا حصر الإمامة في قريش، المهدوية أي الإيمان بالمهدي المنتظر، وكانت تطبق هذه المبادئ في "الزاوية"، كان لهذه الحركة نجاح كبير وإنجازات عظيمة منها: إصلاح المتجمع البدوي وإقامة سلطة دينية و سياسية تولت الإشراف على الفرد والمجتمع و وجهتهما إلى الإيمان والعلم والعمل، وأيضا نشرت الإسلام بين القبائل الوثنية في إفريقيا الوسطى.

حركة المهدي في السودان: "شاعت فكرة المهدي المنتظر في الديانات السماوية الثلاث: اليهودية، المسيحية والإسلام وتعود الفكرة في أصلها إلى كراهية الناس للظلم ومحبتهم للعدل حتى ما إذا ساء الظلم وعم الفساد تاقت نفوسهم لحاكم عادل يرفع الظلم وينشر الراية العادلة، وقبل بها الفرد كتعزية نفسية وأمل في مستقبل غامض أفضل من الحاضر الذي يحياه" وارتبطت كلمة المهدي بمعنى المنقذ أو المخلص، وتقوم المهدوية على المبادئ التالية: العودة بالإسلام إلى ما كان عليه أولا، التوحيد، تحريم زيارة قبور الأولياء والقضاء على الفساد السياسي في السودان وبقية الأقطار العربية[1].

"إذ كانت حركات ودعوات الإصلاح السلفية السابقة الذكر قد نشأت من تحسن القائمين بها والداعين لها للانحلال الاجتماعي، وانتشار البدع والضلالات في الإسلام والابتعاد عن أصول العقيدة، فقد كان للاحتلال الغربي لبعض الأقطار العربية، والغزو الثقافي الذي رافقه،و عجز الدولة الإسلامية وعلى رأسها الدولة العثمانية عن مواجهة التحدي الخارجي والفرق الشاسع بين التقدم العلمي والتفوق الاقتصادي في أوروبا"دورا كبيرا في تغيير صورة المجتمع وكشف عدة حقائق وأفكار كالقومية الليبراليةوالوطنية مما أثر على الشرق، وجعلهم

[1]علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب، المرجع السابق، ص 39-57-58

يبحثون عن حلول فقصدوا العقيدة الإسلامية ليبحثوا عن هويتهم الضائعة وظلم علماء إصلاح الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية معتمدين في ذلك إلى الفكر الإسلامي.

"وجد المصلحون الاجتماعيون إمكان تحقيق تقدم اجتماعي وثقافي يمكنه أن يقود إلى حركة التحرر تهدف إلى إصلاح شامل، اجتماعي اقتصادي أو ثقافي سياسي ثانيا وبالتالي تحقيق الحرية على أساس مبدأ الاجتهاد، تلك العوامل التي كانت دافعا ديناميكيا موحدا يساعد على تكوين الدولة القومية فيما بعد، مثلما يساعد على اللحاق بالغرب المتقدم علميا وتكنولوجيا"[1]

ومن أشهر هؤلاء المصلحين نذكر **رفاعة الطهطاوي** ، **جمال الدين الأفغاني، محمد عبدو، رشيد رضا وعبد الرحمان الكواكبي.**

رفاعة الطهطاوي: (1901-1973).

هو تلميذ الأستاذ **حسن العطار**، تأثر **الطهطاوي** بفكرة الوطنية وبعض الأفكار الاجتماعية الفرنسية، التي نشرها من خلال كتبه وترجماته، حيث يرى أن حب الوطن من الإيمان لكنه لم يدج فكرة المواطنة بالفكرة الإسلامية، وأعتبر أيضا الطريق الصحيح لبناء المجتمع وإصلاحه هو حب الوطن، فالوطنية تربط النظام الاجتماعي ببعضه..

جهد **الطهطاوي** لإصلاح الأزهر وكان ذلك بإدخال العلوم المعاصرة ضمن مناهجه وأعد كتابا جديدا لتدريس اللغة العربية على أسس جديدة، دعا إلى إعادة التراث من خلال رسالته القول السديد في الاجتهاد والتقليد "وطبع العديد من المخطوطات للرازي والحريري وغيرها، أما إصلاحاته السياسية والاجتماعية فمنبعها تأثره بالفكر الأوروبي وإعجابه بالحرية والمساواة وتشجيعه للعقل والحرية الفكرية وتأثره في المقام الأول بالفكر الإسلامي الصحيح" إذا

[1] علي المحافظة، الإتجاهات الفكرية عند العرب ، المرجع السابق ، ص 72.

كانت الظروف السياسية في مصر قد حجبت –إلى حد كبير– الميول الديمقراطية لدى **رفاعة** والتي تأثر بها خلال زيارته لفرنسا وجعلته يغلب الأوتوقراطية عليها[1].

"إن **رفاعة الطهطاوي** يمثل نموذجا لهؤلاء الذين يتمتعون بوعي وبصيرة نافذة وقدرة على استكشاف المستقبل" لأنه أحتل مكانة لا مثيل لها وساهم في تطور الفكر المصري بإنتاجه الغزير والضخم ولاسيماكتابه المشهور "**تخليصالإبريز في تخليص باريز**" [2]وفيه يتحدث عن إعجابه بأنظمة أهل فرنسا وطرائق حياتهم، حيث دعا بلده إلى تقليد النموذج الفرنسي وخاصة الحرية والمساواة.

فالحرية حسب **رفاعة** هي عدل وإنصاف أساسها البحث و وسيلتها العقل ونوره وليس شيئا آخر، لكن تصوره للحرية من خلال فكره تصورا قانونيا في المحل الأول وسياسيا في المحل الثاني، لأن هذه الحرية تخص سيادة القانون في إطار العلاقة بين الحاكم والمحكوم "الإنسان".

ربط **الطهطاوي** فكرة الحرية بفكرة العدل وجعلهما يتحدان إتحادا وثيقا في فكره وتعبيره، وربطهما بفكرة ثالثة وهي فكرة منع الظلم أو ضبط الجور، حيث أرى أن في الظلم كل اعتداء على القوانين وخاصة العادلة لها، وأعطى أشكالا للحرية تمثلت في حرية الفلاحة التجارة و الصناعة وقصد بها ما نسميه اليوم بحرية العمل وحرية النشاط الاقتصادي، تمثل عنده أعظم حرية في المملكة المتمدنة لأنها أعظم المنافع العمومية.

---

[1] زكي سليمان بيومي، التيارات السياسية والاجتماعية – بين المجددين و المحافظين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983، ص 24-25.

[2] سعيد مراد، بحوث في الفلسفة و التنوير، عين الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، ط1 1995، 6 شارع ألهمي – الهرم ، ص 79**رفاعة الطهطاوي** :ولد رفاعة في مدينة طهطا من مدن الصعيد في مصر عام 1801 م وهي السنة التي غادرت فيها القوات الفرنسية أراضي مصر كانت عائلته ذات صدارة في المدينة وتولى بعض أعضائها منصب القضاء ومنهم من إشتغل بالعلم وقد إستولت السلطات الحاكمة على ما بيد الأسرة من فإضطر والده إلى الرحيل و اللجوء للأقاربعاد رفاعة إلى طهطا بعد وفاة والده وتعلم فيها العلوم،ينظر عزت قرني، العدال ةوالحرية فيفجر النهضة العربية،ص125.

"وبعد أن أمضى رفاعة في باريس خمسة سنين عامرة بالإطلاع و التفكير التحصيل (.....) عاد لوطنه متحفزا لعمل خطير هو إصلاح المجتمع المصري بتعليم الشعب وتنوير العقول، عاد ليدرس وينشئ المدارس ويصنع من تلاميذه مدرسين للجيل الصاعد"[1]

جمال الدين الأفغاني :

عاش **جمال الدين الأفغاني** منذ طفولته متنقلا بين البلدان فزار البلاد العربية ومصر وتركيا، وأقام بالأفغان والهند وفارس، وعمل بالحكومة الأفغانية وشارك في بعض حروبها الداخلية، وأيضا في بعض الحركات النهضوية في بلاد الشرق، بالإضافة إلى زيارته أوروباوكتب في جرائدها وخطب في مجامعها، فخالط رجال السياسة والعلم والأدب، فشهد دسائس الاستعمار الإنجليزي والأفغاني والهند ، وحاربه الإنجليز في مصر وغيرها، لذلك لم يتعلق الأفغاني ببلدة من البلاد لذلك لم يذكر الوطن ولم تدخل فكرة الوطنية في مذهبه الاجتماعي أما الرقي فرآه في البلاد الأوربية والانحطاط في بلاد الشرق التي زارها وشهد فيها النفوذ الأجنبي وسرد الحكم الاستبدادي[2].

"توجهت فكرته إلى أنها من تلك البلاد جملة وفرادى ، ولهذه المماليك الشرقية الإسلامية أساس النهوض لهذه البلاد عنده فهو خلاصها من السلطان الأجنبي، وخلاصها من الحكم الاستبدادي ثم تلاؤمها بنوع من الوحدة بقوى التناصر بينها ويكفل لها القلب"[3]. فخلاص الأمة لا يأتي على يد الحكام الصالحين وحدهم، وليس هناك لإحياء الإسلام "وما الصحف والمدارس وحدها بكافية لتحقيق هذا الهدف مع أن بإمكانها أن تساعد على رفه مستوى الخلفية العامة ونشر فكرة الوحدة، إن الإصلاح الحقيقي للإسلام لا يمكن أن يتم ما لم

---

[1] عزت قرني، العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، دط، الكويت ،يونيو 1980، ص22-25.

[2] سعيد مراد، بحوث في الفلسفة و التنوير، المرجع نفسه، ص 78.

[3] جمال الدين الأفغاني و محمد عبدو ، العروة الوثقى ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، ص 25.

يرجع العلماء إلى حقيقة الدين وما لم تقبلها الجماعة بكاملها وتعيش وفقا لها". ثم يطرح سؤالا:ما هي حقيقة الدين الإسلامي؟[1].

عالج هذا السؤال واستطاع أن يدخل عنصرا جديدا في الفكر الإسلامي فمخاطبته لم تشمل المسلمين وحدهم بل شملت العالم الأوروبي أيضا لأنه أراد بذلك هدم الأفكار الخاطئة عن الإسلام والمسلمين، إذ يقول أن الرجوع إلى الإسلام يمك المسلمين من استرجاع قوتهم ومدنيتهم، ويلح على قوله هذا، لأن فكرة الدين وخاصة الإسلام عند الأوروبيين تقيد العقل وتقتل الإرادة، والتقدم لا يتحقق إلا بالتخلي الجزئي أو الكامل للدين وفصله عن الدنيا فصلا **كاملا**[2]

محمد عبده:

الإمام **محمد عبده**، "هو إمام المتنورين، وشيخ المصلحين، ورائد المطورين، فقيه لم يرضى بالنظرة الماضوية للإسلام بل كان له فهمه الحداثوي المتنور من أجل مواكبة الإسلام للتطور، وحتى أن مفهوم الثورة في نهجه يرى أنها تبدأ من الثقافة، مؤكدا أن الثقافة تحتاج إلى تعليم متنور حداثوي وليس إلى قوالب جامدة وإسلام اليوم يفتقد إلى مثل هذه القامة الإسلامية المتنورة".

---

[1] ألبرت الحوراني،الفكر العربي في عصر النهضة 1798- 1939، تر:كريم غرقول، دار النهار للنشر،بيروت- لبنان، دط، ص 150.

[1] يوسف تيجلي، قراءات في فكر الشيخ محمد عبدو- إمام التنوير و التحديث، كتابات، الأربعاء 20 أيار 2015 الساعة 00:00

(*)**جمال الدين الأفغاني**: كاتب،سياسي،فيلسوف،و مصلح إسلامي من أصل أفغاني، ولد في أسعد أباد الأفغانية سنة 1254هـ/1838م ،و توفي في الأتانية سنة 1315هـ/1897م، لقب بالسيد لأنه كان على حد توكيده من أحفاد الرسول (ص) تلقى تعليمه في مدينهكابور حيث تعلم اللغة العربية والفارسية والعلوم الدينية والعقلية وطاف بالهندمستزيدا فيها من علوم أوروبا رجع إلى مكة في عهد الأمير محمد الأعظم، إلا أنه عزل إثر انقلاب دبر لهذا الأمير ، فقصد الأستانة عن طريق مصر بدعوة من السلطان عبد العزيز الذي عينه عضوا في مجلس المعارف و هناك تعرف إلى طالب من الأزهر وهو محمد عبدو فانعقدت بينهم أواصل صداقة دائمة،ينظرالبرتحوراني،الفكر العربي في عصر النهضة،ص131

فالإصلاح الذي أراده **محمد عبده** إصلاح ديني، لكن الحقيقة أن كل إصلاح قام به يعود إلى دواع وأسباب أخلاقية، فمنذ بداياته كان مهتم بالمشكلة الأخلاقية وعلاقتها بالعمل الأخلاقي.

وبعد أن نفي ذهب سوريا ثم أوروبا واشتغل مع أستاذه السيد جمال الدين الأفغاني في إصدار جريدة **العروة الوثقى** فدخل العالم السياسي، فبعد أن كان يريد النهوض ببلاده أخلاقيا "يكافح العادات والتقاليد السيئة وينقذ البدع والمعتقدات الفاسدة، ويحمل على الظلم والاستبداد ويندد بجميع الانحرافات الاجتماعية والسياسية ويبذل السعي الموصول لإصلاح مناهج التعليم الأزهري ولإصلاح المحاكم الشرعية يتصدى لذلك لحله بنية الإصلاح الأخلاقي للجماعة الإسلامية عموما وللمجتمع المصري خصوصا". أما إصلاحاته في الأزهر تقام بتشكيل مجلس إدارة من العلماء وجعل صديقه عبد الكريم سلمان أحد أعضائه، تمثلت مهمته في الإشراف عن التعليم والتربية، شملت هذه الإصلاحات[1].

أولا: تحديد مدة الدراسة، **ثانيا**: الامتحان السنوي مع كفاءة الناجحين ، **ثالثا**: إلغاء الكتب الضارة وتبديلها بالكتب النافعة، **رابعا**: دراسة المقاعد كالفقه والتفسير مدتها أطول من دراسة الوسائل كالنحو والصرف، **خامسا**: زيادة علوم كعلم الأخلاق، التاريخ تقويم البلدان الحساب والجبر والمقابلة[2].

---

[1] عثمان أمين، رائد الفكر المصري- الإمام محمد عبدو ، المجلس الأعلى للثقافة،دط، ص148.

محمد عبدو: محمد بن عبده بن حسن خير الله، ولد ما بين (1266هـ-1323هـ) و توفي(1844م-1905م)، بحصة شيشير من قرى إقليم الغربية لكنه نشأ بقرية محلة نصر من قرى مركز شبرا بإقليم البحيرة، و قرية محلة نصرة من إحدى القرى الصغيرة في إقليم الريف، تعلم الكتابة و القراءة في بيته و توجه إلى طنطا لتلقى علومه، عاد من جديد إلى قريته و تزوج هناك لكنه رجع إلى طنطا مرة أخرى لإتمام دراسته و كان ذلك طلبا من والدته قصد أحد المشايخ و أسمه درويش علمه قراءة الكتب وساعده على الإطلاع على كتب كثيرة منها الكتب الصوفية، كتب علم النفس، ثم انتقل إلى مصر قاصدا الأزهر الشريف فالتحق به وأصبح طالبا فيه لكنه لم يقطع علاقته بشيخه درويش حيث كان يلتقيان كل عطلة فيعيد له محمد عبده جميع الدروس، التقى بصديقه جمال الدين الأفغاني في شهر محرم 1287هـ و تلقى منه بعض العلوم الرياضية و الكمية (الفلسفة) ، ينظر عباس محمود العقاد، الإمام محمد عبده عبقري الإصلاح و التعليم، ص56.

[2] محمد عبدو، تاريخ الإمام، دار الفضيلة للنشر و التوزيع و التصدير، ج1 ، ط 2 ، 1430 -2006/ ، ص 544

بالإضافة إلى إصلاحه الأدبي واللغوي بحيث قام بثورة لتغيير وضع اللغة من ركاكة وضعف ناتجة عن حكم الأتراك والعثمانيين، فبدأ بمقارنة أسلوبالمقالات بالنسبة لعصره فنقد الصحافة 1902 وقال عن ألفاضها وأساليبها بأنها اختراع من أولئك العجزة الضعفاء وشبه الجرائد بالشعر القديم لأنها تقوم على المدح والهجاء[1].

عبد الرحمان الكواكبي:

"**الكواكبي** رحمه الله كان منصرفا إلى خدمة الوطن، نشر مبادئه الصحيحة بالتأليف والتلقين بعد قضاء عمر طويل في خدمة الحكومة العثمانية في حلب، وقاس أمرا صعابا من وشايات ذوي الأغراض فلم يلق تربة تصلح لغرس مبادئه فجاء مصر، ونشر بعض كتبه فعالجه الأجل، ومضى ومضت معه أمانيه وهي شبيهة بأماني المرحوم السيد **جمال الدين الأفغاني**[2]".

"ينطلق **الكواكبي** في آرائه من الفكرة التي ألفناها حتى الآن، وهي فكرة انحطاط الإسلام، ويفسر الانحطاط المألوف ويغزوه إلى قيام البدع، ولاسيما الصوفية المتطرفة الغريبة عن روح الإسلام، وإلى التقليد الأعمى ونكران حقوق العقل والعجز عن التمييز بين الجوهريوالعرض في الدين، لكنه أضاف إلى ذلك شيئا آخر ذكره الأفغاني ومحمد عبده".وهو أن الحكام المسلمين المتأخرون قد عملوا إلى تشجيع التقليد الذي يسميه الكواكبي تقليد أعمى وهو استسلام لفكرة الآخر من أجل تدعيم سلطتهم المطلقة، وأعتبر الكواكبي هذا عامل في ظهور الفساد و الانحطاط[3].

"قائلا إن الحكام المستبدين لم يكتفوا في عملهم الشرير بتأييد الانحراف عن الدين الصحيح بل أفسدوا المجتمع بكامله".

---

[1] محمد عبده، الأعمال الكاملة للإمام، تع محمد عمارة، ج1، دار الشروق، ط1، 1414هـ، 1993م، بيروت-القاهرة ص 192، 125

[2] جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر،ج1 مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، مدينة نصر-القاهرة ، دط، ص375.

[3] ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798 –1939 ، المرجعالسابق ، ص325.

فالدولة العادلة تحقق غاية البشر من الوجود والحرية بحيث تسهر حكومتها على هذه الحرية والتي بدورها تخضع لرقابة الشعب، وهذا ما يجب أن تكون عليه الدولة الإسلامية على عكس الدولة المستبدة[1].

[1] إبراهيم الحيدري، إشكالية الركود الاجتماعي والاستبداد عند عبد الرحمان الكواكبي، الحوار المتمدن، العدد4855، 2015/7/3،

الفصل الثاني:

نشاطه في مجال الإصلاح

المبحث الأول : أسباب فتور الدولة الإسلامية

المبحث الثاني: إصلاحاته من خلال عمله في الصحافة

المبحث الثالث: التخلص من الاستبداد

المبحث الأول: أسباب فتور الدولة الإسلامية

عندما توجه **الكواكبي** إلى القاهرة في عام 1318هـ1900م، كانت خطوط كتابته الرئيسية قد تحددت قبل ذلك ويحتمل أن يكون حرر جزء الأكبر منها،ورغم أنطبائع الاستبدادقد نشر أولا فمن المؤكد أن كتابه **أم القرى** قد ولد في مخيلة المؤلف قبل ذلكفمؤلف أم القرى يحتوي الجزء الأكبر منه تقريرا حول مؤتمر انعقد في مكة من 5 إلى 29 ذي القعدة من عام 1316 هـ -1898م،وطبع في مجلة **المنار** بعنوان **جمعية أم القرى**، لكن قبل كتابة الكواكبي لهذا الكتاب وهو عبارة عن تقرير ،فقد سافر إلى **سوريا، مصر،إثيوبيا،جزيرة العرب واليمن** حتى **الهند وإفريقيا الشرقية**، ولم يكتفي بالزيارة فقط بل قام بإستشارات أخذت طابع الإستفتاءجمع من خلالها نتائج هذا التحقيق في كتابه أم القرى "أما حفيده القاضي سعد زغلول فيذكر أن جده **الكواكبي** اختبر الدولة العثمانية ثم مصر وعرف حال السودان ثم ساح سنتين حول السواحل افريقية الشرقية ثم آسيا الغربية ثم أختبر العالم العربي فدخل من سواحل المحيط الهندي وتوغل فيها حتى دخل بلده سوريا فاجتمع بأمرائها وشيوخها وعرف حالتهم من أدب واقتصاد وسياسة"وكان في نفسه رحلة أخرى يتم بها اختباره للمسلمين وهي رحلة إلى بلاد المغرب ولكن حالة دونهالمنية التي تحول دون الأماني والعزائم".

ألف **الكواكبي** كتاب أم القرى في حلب ونشره لأول مرة في مصر سنة 1818 هـ - 1900 م عنوانه الكامل هو **أم القريضبط مفاوضات ومقررات مؤتمر النهضة الإسلامية المنعقدة في مكة المكرمة سنة 1312هـ**، وقدتخيل فيه الكواكبي أن مؤتمرا عقد في مكة للتداول في أحوال المسلمين في بلادهم وأسباب تأخرهم[1].

[1] نوريبرتابييرو، الكواكبي المفكر الثائر ، تر. علي سلامة،منشورات دار الآداب ، ،بيروت حزيران (يونيو)ط2، 1981،ص22

"وحاول **الكواكبي** من خلال هذا المؤلف أن يقاتل عدو التطور من المنتقدين كما يقاتلالوقوفيين وهم الذين ألفوا الحالة التي هم فيها، فأول ما يتبادر ملاحظته في هذاالكتاب هو الخلل والضعف الذي عم المسلمين ، وبما أن لكل شيء سبب في وجوده فان لهذاالخلل والضعف أسباب ظاهرة بينة[1]".

كان هذا المؤتمر عبارة عن اجتماعات عددها أثنى عشر إجتماعا، خصص الاجتماع السابع لمناقشة أسباب فتور الدولة الإسلامية التي أدت إلىإنهيار المسلمين وخمولهم[2].

تناول **الكواكبي**إنحطاط المجتمع الإسلامي بالتوسع و التفصيل وأرجعه إلى أسباب دينية سياسية وأخلاقية وهذا الفتور هو عام وشامل لجميع المسلمين في جميع أقطار الأرض،لا يسلم منه إلا أفراد شداد حتى لا يكاد يوجد إقليمان متجاورات أو ناحيتان في إقليم،أو قريتان في ناحية،أو بيتان في قرية،أهل أحدهما مسلمون وأهل الآخر غير مسلمين، إلا والمسلمون أقل من جيرانهم نشاطا وإنتظاما ، وأقل إتقانا من نظرائهم في كل من وصنعه مع المسلمين في جميع الحواضر متميزون عن غيرهم من جيرانهم في مزايا الخلفية،مثل الأمانة والشجاعة والسخاء حتى توهم كثير من الحكماء أن الإسلام والنظام لا يجتمعان، فما هو السبب؟[3].

وهذا الفتور حب **الكواكبي** هو"فتور مبحوث فيه ناشئ عن مجموع أسباب كثيرة مشتركة لا عن سبب واحد أو أسباب قلائل تمكن مقاومتها بسهولة"،ومن هذه الأسباب أصول وأخرى فروع لها حكم بالأصول وكلها ترجع إلى ثلاثة أنواع وهي أسباب دينية وسياسية وأخرى أخلاقية[4].

النوع الأول:الأسباب الدينية

---

(1) سعد زغلول الكواكبي ،عبد الرحمن الكواكبي السيرة الذاتية ،ببسان للنشر والتوزيع، ط1 ،1981، ص96

(2) نوربيرتابييرو، الكواكبي المفكر الثائر،مرجع سابق ،ص57

(3) أحمد أمين،زعماء الإصلاح في عصر الحديث،مرجع سابق،ص279

(4) علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب، مرجع سابق، ص 165

"تأثير عقيدة الجبر على أفكار الأمة والمزهدات في السعي والعمل وزينة الحياة، وتأثير فن الجدل في العقائد الدينية مع الاسترسال في التحالف والتعرف في الدين والذهول عن سماحة الدين مع سهولة التدين به ،لكن البعض من الفقهاء المتأخرين خالفوا السلف في التشديد بالدين مما أدى إلى تشويه أفكار الأمة وإختلفت الآراء في فروع أحكام الدين، وهذا ما جعل فقدان مكان مطابقة القول والعمل في الدين نتاج التخليط والتشديد".

إدخال العلماء المدلسين على المقتبسات الكتابية خرافات وبدعا مضرة ،تهوين غلاة الصوفية والدين وجعلهم إياه لهوا ولعبا،وافسدوا الدين فتفنن المداجين بمزيدات ومتروكات وتأويلات[1]،كما ادخلوا على العامة كثيرا من الأوهام فكثر المنجمين والرمالين والسحرة والمشعوذين ،أوهموا العالم وادخلوا على الدين أمورا سرية كثر من خلالها الدجالين الذين اعتقدوا أن العلوم الحكمية والعقلية منافية للدين[2].

1. تطرف الشرك الصريح أو الخفي إلى العقائد العامة .
2. تهاون العلماء العاملين في تأييد التوحيد.
3. الاستسلام للتقليد وترك التبصر والاستهداء.
4. التعصب للمذاهب و لأراء المتأخرين وهجر النصوص ومسلك السلف.
5. الغفلة عن حكمة الجماعة و الجمعة وجمعية الحج.
6. العناد على نبذ الحرية الدينية جهلا بمزيتها.
7. إلتزام مالا يلزم لأجل الاستهداء من الكتاب والسنة.
8. تكليف المسلم نفسه مالا يكلفه الله وتهاونه فيها هو مأمور بة.

[1] عبد الرحمن الكواكبي،أمالقرى،المطبعة المصرية بالأزهر،د ط ،1350 هـ-1931م،ص138

[2] نوربيرتابيرو، الكواكبي المفكر الثائر مرجع سابق،ص20

النوع الثاني:الأسباب السياسية[1].

1. السياسة المطلقة من السيطرة والمسؤولية .
2. تفرق الأمة إلى عصبيات وأحزاب سياسة.
3. حرمان الأمة من الحرية والقول والعمل وفقدانها الأمن والأمل
4. فقدان العدل والتساوي في الحقوق بين طبقات الأمة .
5. ميل الأمراء طبعا للعلماء المدلسين وجملة المتصوفين
6. حرمان العلماء العالمين والطلاب من العلم و الرزق والتكريم.
7. اعتبار العلم عطية يحسن بها الأمراء على الأخصاء وتفويض خدم الدين للجهلاء.

"قلب الموضوع بأخذ الأموال من الأغنياء وإعطائها للفقراء وتكليف الأمراء القضاة والمفتين أمورا تهدم دينهم مع إبعاد الأمراء والنبلاء والأحرار وتقريبهم للمتملقين والأشرار مما جعل فقدان قوة الرأي العام بالحجر والتفريق من شدة حماقة أكثر الآراء وتمسكهم بالسياحات والخرقاء ،أصروا أيضا على الاستبداد عنادا واستكبارا، مما جعلهم ينغمسون في الترف والشهوات وبعدهم عن المفاخرة بغير الفخفخة والمال وحصر الاهتمام السياسي بالجباية والخيدية فقط[2]".

النوع الثالث: الأسباب الأخلاقية[3].

1. الاقتراب للجهلوالارتياح إليه.
2. استيلاء اليأس من اللحاق بالفائزين في الدين والدنيا.
3. خمول الأخلاق ترويجا للنفس.
4. فقدان التناصح وترك البغض في اللين.

---

[1] علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب، مرجع سابق، ص 167

[2] عبد الرحمن الكواكبي،أم القرى مصدر سابق،ص141

[3] علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب، مرجع سابق، ص 168

5. أغلال الرابطة الدينية .
6. فساد التعليم والوعظ والخطابة والإرشاد.
7. فقدان التربية الدينية والأخلاقية.
8. فقد قوة الجمعيات .
9. فقد القوة المالية الإشتراكية بسبب التهاون في الزكاة.
10. ترك الأعمال بسبب ضعف الآمال.
11. إهمال طلب الحقوق العامة جبنا وخوفا.
12. غلبة التخلق بالتملق تزلفا وصغارا.
13. تفضيل الاتزان بالجندية والخدم الأميرية على الصنائع.
14. توهم أن علم الدين قانوني في العزائم .
15. معاداة العلوم العالية،إرتياعا للجهالة .
16. التباعد عن المكاشفات والمفاوضات في الشؤون العامة.

"وقال **الكواكبي** هذه هي خلاصات أسباب الفتور التي أوردها أخوان الجمعية وليس فيها مكرران (...) فأني أضيف إلى الأسباب التي سبق البحث فيها من قبل الإخوان الكرام الأسباب الآتية أعددتها من قبل رؤوس مسائل فقط ،حيث لو أردت تفصيلها وتشريحها لطال الأمر ولخرجنا عن صدد محفلنا هذا"

تعود هذه الأسباب في أصولها إلى الخلل الموجود في سياسة وإدارة المملكة العثمانية بإعتبارها أعظم دولة يهم شانها جميع المسلمين، حيث بدأ هذا الخلل منذ ستين سنة الأخيرة لأنها إندفعت لتنظيم أمورها فعطلت أصولها القديمة فلم تحسن التقليد ولا حتى الإبداع

تشتت حالها وخاصة في العشرين السنة الأخيرة مما أثر عليها وخربت ،والأسباب المراد إلحاقها ملخصة وهي[1].

[1] عبد الرحمن الكواكبي ، أم القرى، مصدر سابق ، ص142 ،144.

الأسباب السياسية والإدارية العثمانيتين[1]

1. توحيد قوانينالإدارة والعقبات مع إختلافطبائع أطراف المملكة وإختلاف الأهالي في الأجناس والعادات.
2. تنويع القوانين الحقوقية وتشويش القضاة في الأحوال المتماثلة.
3. التمسك بأصول الإدارة المركزية مع بعد الأطراف عن العاصمة وعدم وقوف رؤساء الإدارة في المركز على أحوال تلك الأطراف المتباعدة وخصائص سكانها .
4. إلتزام أصول عدم توجيه المسؤولية على رؤساء الإدارة والولاة عن أعمالهم مطلقا.
5. "تشويش الإدارة بعدم الإلتفات لتوحيد الأخلاق والممالك في الوزارة والولاة والقواد على إطراد الدولة لإتخاذهم من جميع الأجناس والأقوام الموجودين في المملكة بقصد إسترضاء الكل".
6. تفويض الإمارات المختصة عادة ببعض البيوت كإمارة العشائر الضخمة في الحجاز والعراق والفرات لمن لا يحسن إدارتها الأجل أن لا يكون الأمير منفورا ممن عليهم مكررها عندهم فلا يتفقون معه ضد الدولة.
7. إلتزام تولية بعض المناصب المختصة ببعض الأصناف كالمشيخة الإسلامية لمن يكون متفورا في ضفة العلماء أو الجند لأجل أن لا يتحقق الرئيس والمرؤوس على أمرهم .
8. التمييز الفاحش بين أجناس الرعية في الغنم والغرم.
9. التساهل في إنتخاب العمال والمأمورين والإكثار منهم بغير لزوم وإنما بقتصد إعاشة العشيرة.
10. عدم الإلتفات لرعاية المقتضيات الدينية كوضع نظامات مضادة للشرع بدون لزوم سياسي مهم أو مع اللزوم و لكن بدون إعتناءوبتفهمية للأمة والإعتذار لها.
11. التسامح في المكافأة والمجازاة تهاونا بشؤون الإدارة حسنت أم ساءت كأن ليس لذلكصاحب.
12. تضييع حرمة الشرع وقوة القوانين بالتزام عدم إتباعها وتنفيذها والإصرار على أن تكون

[1] علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب، مرجع سابق، ص 168

الإدارة التضامنية إسما إداريا فعلا.

13. التهاون في مجازاة عادات الأهالي وأخلاقهم ومصالحهم إستجلابا لمخبئهم القلبية فوق طاعتهم الظاهرية.

14. الغفلة أو التغافل عن مقتضيات الزمان ومباراة الجيران وترفيه السكان بسبب عدم الإهتمام بالمستقبل.

15. الضغط على الأفكار المنتهية بقصد منع نموها وسموها وإطلاعها على مجاري الإدارة محاشها ومعاينها وإن كان الضغط على النمو الطبيعي عبثا محضا وثباتي منه الإغراء والتحضر وينتج عنه الحقد على الإدارة.

16. تمييز الأسافل فضلا وأخلاقا وعلما وتحكيمهم في الرقاب الحرة وتسليطهم على أصحاب المزايا وهذا التهاون بشأن ذوى الشؤون يستلزم تنقل الإدارة .

17. إدارة بين الحال إدارة إطلاق بدون مراقبة وجزافا بدون موازنة وإسراف بدون عتاب وإتلاق بدون حساب حتى صارت المملكة مديونة للأجانب بديون ثقيلة توفي بلادا ورقابا ودماء وحقوقا.

18. إدارة المصالح المهمة السياسية والملكية بدون إستشارة الرعية ولا قبول مناقشة فيها وإن كانت إدارة مشهورة المضرة في كل حركة وسكون.

. إدارة الملك إدارة مداولة وإسكات للمطلعين على معاينيها حذرا من أن ينفقوا مافي الصدور فتعلم العامة حقائق الأمور و العامة من إذا علموا قالوا وإذا قالوا فعلوا وهناك الطامة الكبرى.

20." إدارة السياسة الخارجية بالتزلق والإرضاء والمحاباة بالحقوق والرشوة بالامتيازات والنقود تبذل الإدارة ذلك للجيران بمقابلة تعاميم عن المشاهد المؤلمة التخريبية وصبرهم على الروائح النتنة الإدارية ولولا تلك المشاهد والروائع لما وجد الجيران وسيلة للضغط مع ألقاه الله بينهم من العداوة والبغضاء إلى يوم القامة[1]".

"ثم قال السيد الفراني أن بعض هذه الأسباب هي أمراض قديمة ملازمة لإدارة الحكومة العثمانية منذ نشأتها ومند قرون وبعضها أعراض وقتية تزول بزوال محدثها وربما كان يمكن الصبر عليها

[1] عبد الرحمن الكواكبي ، أم القرى، مصدر سابق ، ص147

لولا أن الخطر قرب والعياذ بالله من القلب كما أشار إليه الأستاذ الرئيس في خاطبه الأول" وهناك أسبابا أخرى عددها الكواكبي من ضمن النتائج وهي:**أسباب شتى**"[1].

1. عدم تطابق الأخلاق بين الرعية والرعاة.
2. الغرارة أي الغفلة عن ترتيب شؤون الحياة وعن لزوم الأعمال والأوقاف وموازنة القوة والإستعداد عن تعليم النساء.
3. عدم الإلتفات للكفاءة في الزوجات .
4. الخور في الطبيعة أي سقوط العمة.
5. الإعتزال في الحياة والتواكل.

[1] عبد الرحمن الكواكبي ، أم القرى، مصدر سابق ، ص151

المبحث الثاني: إصلاحاته من خلال عمله في الصحافة ووظائفه الحكومية

"لقد كتب **الكواكبي** مقالات وأبحاثا كثير من الصحف العربية التي عاصرها ولأنه كان بأسماء مستعارة مختلفة فقد نسبت إليه مقالات لم نتأكد من صحتها وسنثبت هنا الصحف التي كتب فيها".

في الفـرات:

وهي صحيفة رسمية تصدر أسبوعيا تطبع بالغة العربية و التركية معا في ولاية حلب صدرت سنة 1284هـ - 1869م عمل فيها **الكواكبي**من سنة 1269هـ-1272م إلى سنة 1299م -1876 محررا متعاونا غير رسميا ثم محررا رسميا، ورغم البحث المتواصل عن الأعداد التي كتبها الكواكبي لكن لم يوجد أيا منها[1]

في الشهباء

"صحيفة أسبوعية عامة المباحث ظهرت في 10 أيار 1877 لصاحب إمتيازها**هاشم عطار** وطبعت في المطبعة العزيزية،ثم إنضم إليه عبد الرحمن الكواكبي و **ميخائيل بن أنطون**وإشتركوا معا في إصدارها وصادف ظهورها على أثر إعلان الحرب الشهيرة بين الدولتين العثمانية والروسية فكانت تنشر أنباء هذهالحرب مع سائر الحوادث الداخلية والخارجية، وبعد ظهور العدد الثاني منها تعطلت بأمر **كامل باشا** والي حلب ثم أعيد نشرها".

[1] محمد جمال الطحان،الأعمال غير الكاملة للكواكبي ، مرجع سابق ،ص27

بعد تعطيل الشهباء عمد **الكواكبي** إلى إصدار إعتدال التي حصل على إمتيازهابإسم**نزيف زاد سعيد** وكانت تصدر كل يوم أربعاء صدرت أول مرة في 25 تموز 1879 كان نصفها مطبوعا باللغة التركية وكانت مقالتها الإفتتاحية كالتالي[1] :

فهي تعمل نفس عمل الشهباء، تقوم بكل وظائف الجرائد الأصلية الأخرى تنشر سيئات المأمورين وتعرض إحتياجات البلاد بالإضافة إلى تهذيب الأخلاق وتوسيع دائرة المعارف والأبحاث العلمية والسياسية وغيرها[2].

"فر الكثيرون من السوريون إلى مصر ليتمتعوا فيها بحرية نسبية وليقوموا فيها بنشاط أدبي وفني وصحفي لفت أنظار الحكومة والشعب المصري، حتى إعتقد الكثيرون خطأ أن الصحافة الأهلية في مصر إنما نشأت بفضل أولئك السوريون وحدهم[3] ولعل أهم هؤلاء السوريين الحلبي عبد الرحمن **الكواكبي** الذي قصد مصر من أجل الكتابة والتعبير عن الأوضاع التي تمر بها البلاد العربية عامة وسوريا خاصة في ظل الحكم العثماني".

في المؤيد

صحيفة مصرية لصاحبها **علي يوسف** وقد نشر فيها**الكواكبي** أول مقال له 18 آذار/مارس 1899م. تحت عنوان"**ما هو الداء وكيف يرجى الشفاء**"بتوقيع **حلب** ع والمقالصورة أولية لما نشر بعد ذلك في أم القرشم كتب مقالات كثيرة في المؤيد بعد هجرته إلى مصر وهي أفكار أولية لما جاء في طبائع الاستبداد، ونشرت كلها على الصفحتين الأولى والثانية من الصحيفة وهي على الأشكال التالية:

المقال الأول ((إقتراح المحررين السياسيين)) **بتاريخ**: 1900/10/15، لكاتب عربي مبين بتوقيع "مجيب"

---

[1] فليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية،ج 1، المطبعة الأدبية ، بيروت 1913 ، ص360.

[2] فليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية، المطبعة الأدبية ، ص358

[3] عبد اللطيف حمزة ، تاريخ الصحافة العربية في مصر ،دار الفكر العربي ،الكويت ،ط3 ،1985 ،ص61

المقال الثاني ((جواب الإقتراحفي:ما هو الإستبداد)) **بتاريخ**:1900/10/20، بقلم أحد أفاضل الكتاب المجيدين[1].

المقال الثالث: جواب ثاني الإقتراح((الإستبداد والدين)) **بتاريخ**: 1900/10/28بتوقيع مستبد.

المقال الرابع: جـواب الثالث للإقتراح ((الإستبداد والعلـم)) **بتاريخ**: 1900/11/06 من دون توقيع.

المقال الخامس: جواب الرابع للإقـتراح ((الإستبداد والمـال)) **بتاريخ**:1900/11/20 بتوقيع مجيب.

المقال السادس: الجواب السادس للإقتـراح ((الإستبداد والأخلاق)) **بتاريخ**: 1900/12/15من دون توقيع.

المقال الثامن: الجواب السابع للإقتـراح((الإستبداد والتـرقي))**بتاريخ**: 1900/12/29 من دون توقيع.

المقال التاسع: الجواب الثامن للاإقتراح((اإاستبداد والتربيـة))**بتاريخ**: 1900/01/10 من دون توقيع.

من خلال قراءتنا لعناوين المقالات نلاحظ أنها تتشابه مع فصول كتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد في شكله الأول، لكنه قام بتعديل هذه النسخة عدة مرات ووضعها في شكله الأخير بالإضافة توضيحاتو أمثلة.

[1] محمد جمال الطحان،الأعمال غير الكاملة للكواكبي ، مرجع سابق ،ص28

في المنـار

"وهي صحيفة يصدرها في مصر محمد رشيد رضا،وقد نشر فيها **الكواكبي** فصولا من كتابه أم القرسنة **1320 هـ 1902 م**،بعد تعديلات اقترحها صاحب الصحيفة تتعلق بحذف عبارات نقد السلطنة العثمانية، وبعد وفاته نشرت المنار مقالا بينت فيه أنها من أثار **الكواكبي**[1]".

كتب بعد سياحته الأخيرة إلى بعض البلدان العربية والإسلامية، وهو بعنوان **تجارة الرقيق وأحكامه في الإسلام**، بتاريخ 16 ذي القعدة 1323هـ الموافق لـ 1905/01/11م".

في العمـران

وهي صحيفة مصرية أسبوعية كانت تصدر كل سبت، وقد كتب فيها الكواكبي سلسلة من المقالات، كان أول هذه المقالات هو **العلم**ونشر في عددها الثاني بتاريخ: 1902/04/05 من دون توقيع، وهو مقال يشبه مع ما نشر في المؤيد **الاستبداد و العلم** وأيضا يشبه فصلا من فصول كتابه طبائع الاستبداد.

ثم كتب مقالا آخر بعنوان **المجد والتمجد** في العدد الثالث من العمران بتاريخ 1412هـ _1902م،حيث ذكر في هذه المقالة أثار الاستبداد على المتمجدين.

في القـاهـرة :

"وهي صحيفة نصف شعرية، كانت تصدر في مصر، صدر عددها الأول في 1 نيسان-أبريل1903، وفيه يكشف **بشير يوسف** عن عثوره على بعض مؤلفات الكواكبي غير المنشورة، ويؤكد عزمه على نشرها في الإعداد التالية، ولكنه لم يف بوعده، ولم ينشر إلا ترجمة لحياة الكواكبي، وآرائه، ودفاعه عن نفسه أمام محكمة بيروت، وأقواله في لقاء مع قنصل ايطاليا، وهناك مقالات أخرى تنسب إليه، لكننا لم نستطع التأكد من صحة نسبتها ".

في النجـاح:

[1] محمد جمال الطحان،الأعمال غير الكاملة للكواكبي ، مرجع سابق ،ص28

صحيفة بيروتية نقلت مقالا عن صحيفة حلب الرسمية،في العدد 33 تاريخ 28 آذار / مارس 1872، ونسبه جان داية إلى الكواكبي قائلا أن المقال الكواكبي الذي كان يعمل كمحررًا لهذه الصحيفة مدة خمس سنوات[1].

في النخـلة:

"أول مجلة عربية مصورة بكل معنى من معاني الكلمة أنشاها **ألقيس لويس صابونجي السرياني**بتاريخ حزيران 15 حزيران 1877 في لندن"[2] نشر فيها الكواكبي مقالين تحت عنون **حلب** بتوقيع، وصفته النخلة بأنه مكانين غير الاعتيادي وذلك بتاريخ 1 نيسان / أفريل 1879، ويلاحظ جان داية أن المقالتين يشتبهان، افتتاحية الكواكبي في**الشهباء** تحديدا عددها الخامس والصادر في كانون الأول / ديسمبر 1877[3].

في الأهـرام:

قام بتأسيسها رجلان لبنانيان هما سليم وشبار ثقلا، ونشاط الأهرام أسبوعية بمدينة الإسكندرية حيث تقيم الجاليات الأجنبية وتروج الحركة التجارية، ثم انتقلت إلى القاهرة وأخذت تصدر أسبوعيا كذلك،وقد اشترط على صاحبها أن لا يتدخلان في الأمور السياسية وبالفعل ثم ذلك لكن بعد قيم الحرب الروسية التركية، بدأت الأهرام تتدخل في الشؤون السياسية مع الكثير من الصحف المصرية كتب فيها الكواكبي مقالة تحت عنوان **حلب الشهباء** بتاريخ 12حزيران / يونيو 1879 من دون توقيع [4].

يقول جان داية أن مضمونها يشبه مؤلفات الكواكبي من حيث نقده لجهاز الحكم في حلب وأيضا من حيث روح السخرية التي غلبت على مقالات الكواكبي

---

[1] محمد جمال الطحان،الأعمال غير الكاملة للكواكبي ، مرجع سابق ،ص29

[2] فليبدي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، مرجع سابق،ص30

[3] محمد جمال الطحان،الأعمال غير الكاملة للكواكبي ، مرجع سابق ،ص29

[4] عبد اللطيف حمزة، تاريخ الصحافة العربية في مصر، مرجع سابق، ص64

في المصباح:

وهي جريدة سياسية تجارية علمية أدبية ظهرت في كانون الثاني 1880، تصدر ثلاث مرات في الأسبوع منشأها **نقلا نقاش** نشر فيها **الكواكبي** بعد تعطيل صحيفته[1].

كانت مقالته تحت عنوان **مراسلات حلب** 19 آذار في العدد 326 ،24 آذار / مارس 1883 بتوقيع "إمضاء محفوظ"، اختار الكواكبي صحيفة المصباح لنشر مقالته لأنها تستطيع نشر الانتقادات السياسية بفعل الامتيازات التي أعطيت لجبل لبنان اثر فتنة الستين.

في لسان العرب :كتب فيها الكواكبي مقاله بعنوان **أحب شيء إلى الإنسان ما مناعا** في العدد 323 من لسان العرب تاريخ 28 آب أغسطس 1825 بتوقيع **أحد الأفاضل الحلبيين**، ومقالة أخرى تحت عنوان **أحمد مختار باشا – معتمد الحكومة التركية في مصر** في عددها 328 بتاريخ 4 أيلول سبتمبر 1895 بنفس التوقيع.

في المقطم :

"نشرت في صحيفة المقطم مقالتان **الجامعة الإسلامية**–الفصل الأول في العدد 3148 تاريخ 5 آب أغسطس 1899، بالتوقيع ذاته، وحيث رد **محمد رشيد رضا** على المقالتين رد صاحبها على الرد بتاريخ 26آب /أغسطس 1899 بالتوقيع نفسه وجان داية يرجح أن هذه المقالات هي للكواكبي،لكننا نستبعد أن تكون لأنها لا تنسجم وسياق فكرة العام، فضلا عن أنه كان صمنها إلى أحد كتابية في طبائعهما اللاحقة،لو كانت له".

جمع **الكواكبي** مقالاته في كتاب واحد هو طبائع الاستبداد وقال في أوله إني نشرت في بعض الصحف أبحاثا علمية سياسية في طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد،منها ما درسته ومنها ما أقتبسه[2].

---

[1] محمد جمال الطحان،الأعمال الكواكبيغير الكاملة ، مرجع سابق،ص30

[2] فليبدي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، مرجع سابق، ص191

"غير قاصدا بها ظالما بعينه ولا حكومة مخصصة،إنما أردت بذلك تشبيه الغافلين كمورد الداء الدفين، عسى أن يعرف الشرقيون أنهم المتثبتون كما هم فيه فلا يعتبون على الأخيار ولا الأقدار، ثم أضف إليها بعض زيادات وحولتها إلى هيئته هذا الكتاب"[1].

فالصحافة هي بداية صراع **الكواكبي** مع الإستبداد فأصدر صحيفتي الشهباء وإعتدال اللتان عطلت من طرف الحكومة لأنهما كانتا لسان حال القوى الإصلاحية المناهضة للإستبداد،فتركت كلا الصحيفتين بصماتهما على حركة الوعي في الأمة وتجاوزت معهما الإدارة التي طالما قمعتهما سلطة المستبد، [2] فيئس **الكواكبي** من أداء رسالة الإصلاح بالكتابة المحجور عليها في الصحافة المهددة بالتعطيل، فقل العمل في الوظائف الحكومية ويقول العقاد بأنه في كل وظائفه عرف بالأمانه، كان غيورا على الضعفاء وحريص واجباته بل متطوعا أحيانا فيزيد عن واجباته

كلما دعي إلى النجدة أو الإنصاف، فكان يدافع عن المظلومين بإبلاغه الشكاوى وتمحيص الأسانيد والنهض بتكاليف الرئاسة وأعباء الوكالة الموروثة التي ألقاها على عاتقه مكانة من العلم والوجاهة وسابق الخيرة بولاية أعمال الناس[3].

أما حفيده **سعد زغلول** فيقول أن جده أنكب على دراسة الحقوق بعد تعطيل صحفتاهوعين بعدها كعضو فخريا في لجنتي المالية والمعارف العمومية، والأشغال العامة النافعة ثم عضوا فخريا في لجنة المحامين،وفي سنة 1886م الموافق لـ 1303هـ صار مأمورا للإجراء، ثم اتخذ مكتبا في حي الفرارة قريبا من بيته وسراي الحكومة يستقبل فيه المظلومين من سائر الفئات ولسائر أنواع الظلم، فكان يسعى إلى الدفاع عن حقوقهم ورفع الظلم عنهم بتحرير الشكاوى ودلهم على طرق الاحتجاج دون مقابل وبخدمة مجانية، وإذا اضطر الأمر كان يقوم ببعث

---

[1] زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 2

[2] ماجد الغرباوي، قضايا إسلامية معاصرة إشكاليات التجديد دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ص165

[2] حسن السعيد، جدلية الدين و الاستبداد،مرجعسابق،ص 27.

الشكاوى عن طريق البرقيات إلى الاستانه بتوقيع اسمه واسم المظلوم.واعتمد أيضا الكواكبي على مثل هذه البرقيات في رفع شكواه عن الظلم الذي لحق به من قبل **جميل باشا** والي حلب في (19 تموز 1886_18 شوال 1303هـ) والذي كان يعرف بطاغية حلب، عثر **جان داية**على بعض البرقيات التي أرسلها الكواكبي للأستانة في أرشيف وزارة الخارجية البريطانية يشكو فيها تعرضه وسواه من الرجماء إلى اعتداء الوالي[1].

ومن أهم وأشهر الدفاعات التي قام بها الكواكبي دفاعه عن المحامي **زيرونجقمافيان**الذي كان يتدرب على المحاماة في مكتبه ويدافع عن بني ملته لأرهن الذي يضطهدهم الأتراك وعندما أدرك والي حلب **جميل باشا** أن نشاط هذا المحامي كان بسبب تدريه في مكتب الكواكبي، أمر بإعادته إلى بلده، لكن أستاذه رفض هذا وطلب منه البقاء في حلب ما أثار غضب الوالي ودبر مكيدة له وكانت محاولة قتله فراح ضعيها [2] محامي والكواكبي معا بتهمة أن الكواكبي هو من أمره بقتل الوالي، فكان مصير المحامي هو الحبس لمدة خمسة عشر عاما، ولكن هذا الحكم لم يعجب الوالي فأمر بزجه في مستشفى للإمراض العقلية، أما الكواكبي فقد أطلق صراحه بعد خروج أول مظاهرة نسائية في التاريخ البلاد تتكون من زوجة الكواكبي وزوجة المحامي و زوجات أخريات المعتقلين سياسيين.

"في سنة 1882 م توفي والده، مما أثر في نفسه كثيرا لكنه لم ينز و استمر في نصرة المظلومين وإنتقاد السلطنة، وإستمرت الحكومة في إغرائه بالمناصب، ففي سنة 1886م عينته عضو في محكمة التجارة ثم رئيسا لغرفة التجارة بحلب 1892م ورئيسا للمصرف الزراعي، ثم رئيسا لكتاب المحكمة الشرعية 1894م وإعادته سنة 1898م رئيسا لغرفة التجارة بحلب ورئيسا لأجنة بيع الأراضي الأميرية وفي كل هذه الضروب المنوعة من الأعمال أثبت الرجل كفاءته لكل عمل تولاه" فكل عمل قام به طوره وأصلحه وجدده، فابتكر طرقا غير طرق الإبل

[1] عباس محمود العقاد، عبد الرحمن الكواكبي، الرحالة كاف، مرجع سابق،ص99

[2] سعد زغلول الكواكبي،عبد الرحمن الكواكبي السيرة الذاتية،مرجع سابق، ص47

والدواب، أثناء عمله في المجلس العلوي، وأيضا قام بفصل معالم الطرق بسلاسل من حديد لتسيير السير للمشاة[1]

ومن أهم أعماله أيضا زيادته لأجور العمال سدا لذرائع الرشوة و الإختلاس، بالإضافة إلى ترتيبه أوقات العمل و موضوعاته بتخصيص أماكن لكل منها لمنع الزحام والانتظار، وإهتم أيضا بالمهربين للدخان فوضع لهم أجورا تنهيهم عن التهريب، ومن أهم مشاريعه إعداده العدة لإنارة المدينة وضواحيها بالكهرباء وبناء مرفأ للسويدية وجلب الماء من النهر الساجور إلى ولاية حلب بالإضافة إلى تجفيف المستنقعات التي كانت فيها معنى منبعا للأوبئة والحميات الدورية.

بعد فشله في إصلاح مجتمعه عن طريق الصحافة، ذهب هو بنفسه إلى تغير الواقع من خلال الوظائف الذي تقلدها، محاولا عمل كل ما بوسعه لتغيير الأحوال الاجتماعية وتحسين معيشة أهل حلب بالدفاع عنهم تارة وقضاء حاجياتهم تارة أخرى لكنه اتهم من قبل والي حلب **عارف باشا** بالتآمر مع الأرمن الآثار مشاكل في حلب، وإستغل حادثة تعرض القنص الايطالي إلى اعتداء بالحجارة قرب منزل الكواكبي، ليثبت هذه التهمة عليه، فقبض على الكواكبي وصودرت كل ممتلكاته وحكم عليه بالإعدام في محكمة حلب، لكن **الكواكبي** لم ييأس وقدم استئنافا لإعادة المحاكمة من جديد في بيروت نظرا للخلاف الموجود بينه وبين الوالي، وبالفعل بريء الكواكبي بعد معانات طويلة في السجن بين حلي وبيروت أما الوالي فقد عزل من منصبه.

لم تكتف السلطة بمصادرة خزينة الشخصية بالسجن و الإستيلاء على أملاكه "بل وصل الأمر بالاستبداد أن اغتصب منه نقابة الأشراف وأعطاها لأبي الهدى الصيادي الذي زور انتسابه لآل البيت، مع انه من المعروف أن نقابة الأشراف تتوارثها أسرة **الكواكبي** في حلب والأستانة وبغداد باعتبارهم من آل البيت من حميتي الأم والأب منذ أيام **أحمد الكواكبي** في منتصف القرن الحادي عشر الهجري"، وقد كانت نقابة الإشراف مغتصبة من

[1] حسن السعيد، جدلية الدين و الاستبداد، مرجع سابق، ص27

ابن عمه الأكبر منه سنا "**حسن الكواكبي** " من قبل " الصيادي" صديقه "**السلطان عبد الحميد**" ونديمه الأثير[1].

وبعد وفاة ابن عمه إستحق**الكواكبي** نقابة الأشراف بإعتباره أكبر أفراد الأسرة ومؤهلا علميا واجتماعيا، فاعترض الكواكبي على التزوير، ولم يكن كره الكواكبي للصيادي بسبب تزوره للنسب فقط بل بسبب أعماله وظلمه للرعايا، فقد كان يضطهدهم مستغلا علاقته **بالسلطان عبد الحميد**[2] لأنه كان يكتشف للسلطان أعدائه ويخبره بالغيب بإذن الله، وأصبح بذلك الملهم الأول للسلطان بسبب أعماله في الشعوذة والسم وإتقانه لفنون الغجر من سحر بالإضافة إلى ضرب الرمل ونقر الدف والترتيل بغرض شفاء المرضى والمجانين، مما جعل الكواكبي يتصدى لفساده وسلطه على الحكم وأيضا نشره للبدع الدينية السيئة باستعماله الطرق الصوفية للشعوذة والابتزاز ونشر الأكاذيب للناس ينشره للغيبيات والسحر والتنجيم ولكن نهايته كانت السجن بعد الانقلاب العثماني.

"لقد أبلى بلاء حسنا في الوظائف التي تولاها، وكان همه المصلحة العامة مما جلب له المتاعب، وتجد الإشارة إلى أن وظائف ومهام كثيرة كان يتولاها كمناصب فخرية، أي دون مقابل مالي بل تطوعا" أما عمله الأخر فكان خيريا موجها للرأي العام، فلم يجد وسيلة تنشر أفكاره وتصلح المجتمع أكثر من الصحافة [3].

---

[1] حسن السعيد، جدلية الدين و الاستبداد، مرجع سابق، ص27

[2] ماجدة حمود، فارس النهضة و الأدبي عبد الرحمن الكواكبي، منشورات اتحاد كتاب العرب،د ط، دمشق 2001، ص13_15.

[3] سعد زغلول الكواكبي، عبد الرحمن الكواكبي، السيرة الذاتية، مرجع سابق، ص 82_86

المبحث الثالث: التخلص من الاستبداد

"بعض المرضى يحتاجون إلى صدمات كهربائية لتصحيح وعيهم وإيقاظ ما تخدر من حسه والمسلمون يحتاجون إلى مثل هذه الصدمات كي يحسنوا الخلاص مما حال بهم والسير على نهج يشبه أو يحاذي نهج الراشدين من أسلافهم، إن أمتنا الآن جزء كبير من العالم النامي تخلفنا الحضاري لا ريب فيه ومظاهر التقدم المجلوبة من هنا ومن هنا عارية قد تشرد، إنها ليست حظوظا عمياء!!إن ما نزل بنا هو نتائج لمقدمات طال عليها الأمد."وقد أصابتنا علل هدت قوانا جيلا بعد جيل، فالأجسام التي تصيبها الأمراض في سن مبكر عافية الشباب هي من تهزمه، ولكن بعض الأجسام تبقى الجرثومة عالقة بها فتسبب العديد من الأمراض.

هذه الأجسام هي أمتنا والجرثومة هي القوى المعادية للإسلام، فأصبح المسلمين مقيدون، ضحايا الإذلال، فقدوا أسباب التمكن في الأرض، وإن أردنا النهضة الحقة علينا دراسة أسرار ما أصابنا لان العافية لا تتيسر بدواء مرتجل والنصر لا يتحقق باقتراح مرتجلبعد أن بحث العديد من المحققون ودعاة الإصلاح حول تدهور العالم الإسلامي وجدوا أن تخلفهم له سببا واحد هو أساسي أنه الإستبداد، نعم الإستبداد وقمع الحريات العلمية والسياسية.

"الإستبداد هو آفة الشعوب، والإستبداد قاتل للإيداع قائل للاختراع، قاتل للثقافة ومعرقل كبير للتقدم (....) لا يمكن أن نتحدث عن التقدم في ظل الإستبداد السياسي أو الخلل الاجتماعي الناتج عن سوء توزيع الثروة وتمكين فئة بعينها من نهب موارد المجتمع كله وما يقترن بذلك حتما من الارتباط والخلل في النظام المعيشي والأخلاقي للمجتمع".

التقدم والاستبداد ثنائية متضادة متناقضة متنافرة، لا يمكن أن يحصل التقدم والاستبداد ثنائية متضادة متناقضة متنافرة، لا يمكن أن يحصل التقدم في ظل لاستبداد لأن الاستبداد في طبيعة قتل للتقدم باعتباره آلية كبحية معرقلة لنمو الحياة الطبيعية التي تسير إلى الإمام بخطى متكيفة مع واقعها وظروفها وملابساتها وحيثياتها [1].

[1] محمد الغزالي، الفساد السياسي، نهضة مصر للطباعة والنشر،ط3،اكتوبر 2005، ص4

فالاستبداد كالجدار الفولاذي الناتع لنسمات الحرية التي تساهم في تقدم وتطور المجتمعات الإنسانية إلى الأمام، دعي **الكواكبي** إلى استئصال الاستبداد وهدم عروش المستبدين ومن يسندهم وأتباعهم ومؤسساتهم وحتى ثقافتهم، من خلال مؤلفه الشهير طبائع الاستبداد فهذا المؤلف ليس مجرد تحليل الاستبداد بل هو عبارة عن مواجهة عنيفة للمستند ولمقولة الاستبداد نفسها ولا خيار ولا توسط بالاستبداد داء لا يرجى شفاؤه بالإصلاح و الترميم، ولا يمكن التخلص منه بالرفق والهدي واللين، وهذا ما جعل الكواكبي يتوسع في مظاهر الإستبداد وأفعال المستبد وفظائعه وجرائره وإفساد الدنيا من حوله.

وأول ما بحث فيه **الكواكبي** هو مفهوم الاستبداد من خلال كتابه الذي بدأه بمجموعة أسئلة «**ماهو الاستبداد ؟ ما سببه ؟ ما أعراضه ؟ ما سيره ؟ ما إنذاره ؟ ما دواؤه ؟ ما هي طبائع الاستبداد ؟ لماذا يكون المستبد شديد الخوف ؟ ماذا يستولي الجبن على رعية المستبد ؟ ما تأثير الاستبداد على الدين ؟ على العلم ؟ على المجد ؟ على المال ؟ على الأخلاق ؟ على الرقي ؟ على التربية ؟ على العمران** ؟ من خلال هذه الأسئلة رسم الكواكبي لكتابه فصولا وأقساما.

يعرف **الكواكبي**الإستبداد بالمعنى اللغوي بأنه غرور المرء برأيه والأنفة عن قبول النصيحة أو الاستقلال في الرأي وفي الحقوق المشتركة.

الاستبداد"عند إطلاقه، استبداد الحكومات الخاصة، لأنها أعظم مظاهر وأضرار التي جعلت الإنسان أشقى ذوي الحياة، وأما تحكم النفس على العقل وتحكم الأب والأستاذ والزوج ورؤساء بعض الأديان وبعض الشركات وبعض الطبقات، فيوصف بالاستبداد مجازا أو مع الإضافة"[1].

أما الاستبداد في اصطلاح السياسيين هو تحكم فرد أو مجتمع في حقوق الناس بمشيئتهم وبلا خوف تبعة، وقد أضافه البعض إلى هذا التعريف كلمات كالاستعباد، التعسف

[1] التقدم والاستبداد الثنائية المضادة بامتياز، حواس محمود، منبر الحرية، 1 ديسمبر 2011، www.MINBAR ALHURRIYYA

والتسلط والتحكم في مقابل كلمة الاستبدادواستعملوا أيضا كلمة الجبار، الطاغية، الحاكم في مقابل المستبد والحكم المطلق، وفي مقابل الحكومة المستبدة كلمات عادلة، مسؤولية، مقيدة ودستورية، ويستعملون لوصف الرعية المستبد كلمات أسرى، مستصغرين،بؤساء ومستثنيين وفي مقابلتها أحرار، أباة، أحياء وأعزاء،هذا التعريف هو بذكر المرادفات والمقابلات،وأما تعريفه بالوصف هو أن الاستبداد صفة الحكومة مطلقة العنان فعلا.

وللحكومة المستبدة أشكالا كثيرة حيث يشمل حاكمها وهو الفرد المطلق الذي تولى الحكم بالغلبة أو الوراثة، وتشمل أيضا الحاكم الفرد المنتخب متى كان غير مسئول، وتشمل الحكومة الجمع ولو منتخبا لأن الاشتراك في الرأي لا يدفع الاستبداد بل يعد له أحيانا وهذا الاستبداد الناتج عن الإتقان قد يكون أضر من استبداد والفرد الواحد، ويشمل أيضا الحكومة الدستورية المفرقة فيها بالكلية قوة التشريع عن قوة التنفيذ وعن قوة المراقبة، فالاستبداد لا يزول ما لم تتحقق المسؤولية.

أما أشد مراتب الاستبداد ما يتعوذ بها من الشيطان "وهي حكومة الفرد المطلق، الوارف للعرش، القائد للجيش، الحائز على السلطة دينية، ولنا أن نقول كلما قل وصف من هذه الأوصاف خف الاستبداد، إلى أن ينتهي بالحاكم المنتخب المؤقت المسئول فعلا وكذلك يخف الاستبداد طبعا كلما قل عدد تقوس الرعية وقل الارتباط بالأملاك الثابتة، وقل التفاوت في الثروة كلما ترقى الشعوب في المعارف"[1].

إذا لم تكن الحكومة تحت المراقبة الشديدة والاحتساب فإنها لا تخرج عن نطاق الاستبداد كما جرى في عهد الإسلام في ما نقم عن عثمان "فما من حكومة عادلة تأمن المسؤولية و المؤاخذة بسبب غفلة الأمة أو التمكن من إغفالها إلا وتسارع إلى التلبس بصفة الاستبداد وبعد أن تتمكن فيه لا تتركه" فتساعدها وسيلتين عظيمتين هما: جهالة الأمة والجنود المنظمة، فالجهالة من مصائب الأمم ومعائب الإنسانية تخلصت منها الأمم المتمدنة، لكنها لم

---

[1] طبائع الاستبداد، عبد الرحمن الكواكبي، تق محمد لطفي اليوسفي، وزارة الثقافة والفنون والتراث،الطبعة الأولى2011الدوحة، ص14.

تتخلص من الجندية الجبرية العمومية، وهذا إما جعلها أشعر من الأمم الجاهلة، والحق بها عار الإنسانية وهو أقبح أنواع الاستبداد.

أما الحكومات البدوية فرعيتها كلها تقطن بالبادية يرحلون ويتفرقون حيث تمس حكومتهم حريتهم الشخصية فهذه الحكومات لا تدفع إلى الاستبداد، وأقرب مثال لهذا هو أهل جزيرة العرب فلم يعرفوا الاستبداد إطلاقا من قبل ملوكهم والسبب يعود إلى أن حالة البدو مختلفة بحيث أن كل فرد يعتمد على نفسه في المعيشة على عكس الإنسان المدني [1].

والاستبداد لا يقتصر في مفهومه على الجانب السياسي فقط بل له عدة أنماط فهناك الاجتماعي والفكري، والديني والاقتصادي والطبقي فالإستبداد حسب **الكواكبي**"داء أشد وطأة من الوباء أكثر هولا من الحريق، أعظم تخريبا من السيل، أذل للنفوس من السؤال داء إذا نزل بقوم سمعت أرواحهم هاتف السماء ينادي القضاء، والأرض تناجي ربها يكشف البلاء".

الاستبداد هو نفسه الاستبداد أينما حل في كل مكان وزمان، لكن الفرق بين الاستبداد الغربي والشرقي واضح بشكل نسبي فالاستبداد الغربي أشد وطأة مع اللين أما الشرقي يكون سريع الزوال، الاستبداد الغربي يزول بزوال الحكومة المستبدة لأنها تتبدل بحكومة أخرى عادلة أما الحكومة المستبدة في الشرق فلا تزول ولا تتغير لأنها تتبدل بمثلها،وعادة ما ارتبط مفهوم الاستبداد على المجتمعات الآسيوية لكنه لم يكن حكرا عليهم وحدهم[2].

فحاول الغربيون تغيير الطغيان الشرقي بأن الشرقيين ولدوا بطبيعتهم "عبيد"فهم من يعشق الطغيان ويحبون القسوة، فأرسطو يقول أن بعض الأجناس هم رقيق بالطبع والبعض الآخر هم أحرارا بالطبع، فالإغريق هم الأحرار لا يجوز اشراقاقهم لأنهم يمثلون الروح العالية والشجاعة أما الشرقيون فهم العبيد، والعلاقة الناجمة عن السيد والعبد هي علاقة طاغية الحاكم المستبد برعاياه.

---

[1] عبد الرحمن الكواكبي،طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مصدر سابق، ص28_29

[2] حسن السعيد، جدلية الدين والاستبداد، مرجع سابق، ص55

ولقد ظلت نظرية أرسطو عن الطغيان الشرقي سائدة في الفكر السياسي مع تعديلات طفيفة" ففي القرن الثامن عشر ذهب **مونتيسكيو** إلى أن الاستبداد نظام طبيعي بالنسبة للشرق لكنه غريب وخطر على الغرب، ويرى أن الحكومة العادلة هي حكومة العالم المسيحي أما حكومة العالم الإسلامي فهي مستبدة –أما **هيجل** فيرجع سبب الطغيان في لشرق إلى عدم معرفتهم للروح أو الإنسان، و العبودية تعود إلى انعدام الوعي الذاتي.

وبالعودة إلى التعريف اللغوي للاستبداد نجد أن كلمة المستبد*despot* مشتقة من الكلمة اليونانية ديسبوتيس*despotes* وتعني رب الأسرة أو السيد المنزل أو السيد على عبده ثم انتقلت الكلمة من الجانب الأسري إلى الجانب السياسي فأطلقت على نمط من أنماط الحكم الملكي المطلق الذي تكون فيه السلطة الملك على رعاياه مثل سلطة الأب على ابنه أو السيد على عبده، أما مصطلح المستبد فظهرت لأول مرة أبان الحرب الفارسية_ الهيلينة في القرن الخامس ق.م، ثم تطور المصطلح على يد أرسطو حيث قابل بينه وبين الطغيان، أما البيزنطيين فهم من أدخلوا المصطلح إلى قاموس السياسة، ثم انتشر المصطلح بشكل كبير نتيجة ترجمة مؤلفات أرسطو خصوصا السياسية مما أدى إلى احتلال المصطلح الصدارة بسبب الظروف التي سادت في القرن السادس عشر سواء في أوروبا أو غير ها [1].

كان **ميكائيل** في القرن السادس عشر هو أول من قارن بين الاستبداد والطغيان عندما قابل بين النظام الملكي في أوروبا والطغيان الشرقي في الدولة العثمانية"وفي القرن السابع والثامن عشر بدأت الارستقراطية الفرنسية بتوحيد كل من الاستبداد ونظم الحكم الشرقية، ثم اتخذت خطوة كبرى في تطبيق مفهوم الاستبداد على الدول الأوروبية فكان هدفها الحقيقي الاعتراض على تركيز السلطة على يد الملك لويس الرابع عشر وإحتكاره لها".

أما على الصعيد الموروث الإسلامي فأول من أرسى دعائم الاستبداد كا**لماوردي** و **الطرطوشي** ...الخ حيث ساء حكم الدولية الإسلامية الإستبدادية والتغلب الاحتكام للقوة

[1] حسن السعيد، جدلية الدين والاستبداد، مرجع سابق، ص58_59

والتفرد بالسلطات لكن الفكر السياسي الإسلامي ظل وفيا لفلسفة الشورى وشروط الخلافة وقواعدها .

بعد نصف قرن من شروق شمس الإسلام، حولت سحب القهر والإستبداد سماء حياتهم الاجتماعية وإلى ظلام، وفي هذه الظلمة الحالكة، تطلعت بصيرة المفكرين المسلمين بدورها إلى النظر لوجه ومعرفة ماهية السياسة والسلطة.

و**الكواكبي** أول من تصدى للاستبداد في العصر الحديث بالتحليل لأنه عانى في حياته وعاش في فترة كان فيها العالم الإسلامي في أسوأ حالاته، فقد فند في كتابه طبائع الاستبداد القيم والأفكار العقيمة التي نكيت بها الأمة، فأعمتها عن الحق وصدتها عن الشر وكان مما قاله "وقد عدد الفقهاء من لا تميل شهادتهم لسقوط عدالتهم، فذكروا حتى من يأكل ماشيا في الأسواق ولكن شيطان الاستبداد أن فيشقوا الأمراء الظالمين فيردوا شهادتهم"[1].

وقال "إني نشرت في بعض الصحف أبحاثا علمية وسياسية في طبائع الإستبداد ومصارع الاستعباد منها ما درسته ومنها ما اقتبسته، غير قاصدا بها ظالما بعينه، ولا حكومة مخصصة إنما أردت بذلك تنبيه الغافلين لمورد الداء الدفين، عسى أن يعرف الشرقيون أنهم هم المتسببون لما هم فيه، فلا يعتبون على الأخبار، ولا على الأقدار،ثم أضفت إليها بعض الزيادات، وحولتها إلى هيئة كتاب".

ويتحدث **الكواكبي** في الفصل الثاني من كتابه عن الاستبداد والدين فيفضح نشر المستبد تحت راية الدين وزعمه الغيرة عليه، ويرى عدم الدين فهما صحيحا أمر يجعلنا نعين المستبد على استبداده أو تمكنه من أن يتخذ لنفسه بطانة من الخدمة الدين يعينونه على الظلم الناس باسم الله و يخلص إلى أن بين الاستبداد السياسي والديني مقارنة وتلازم متى وجدلا أحدهما في امة جر إليها الآخر أو متى زال رفيقه، ولذا يرى المدققين السياسيين إن السياسة والدين يمشيان متكافئين ويعبثون الاصطلاح السياسي يكون سهل وأقرب بالإصلاح الديني.

[1] أحمد بن حمد الخليلي،الاستبداد مظاهره ومواجهته، الطبعة الأولى، 1434هـ_2013م،ص387

وبدا الكواكبي بالفعل إصلاح مفاهيم الدين السائد إصلاح الفكر و توحيد الرأي العام مستعينا بذلك على ملاحظاته حول ما فعله الإصلاح الديني في الفكر الغربي.

"والاستبداد السياسي متولد من الاستبداد الديني والبعض يقول هناك توليد فهما أخوان، أبوهما الثعلب وأمهما الرياسة أو هما ضوان قويان بينهما رابطة الحاجة على التعاون لتذليل الإنسان، والمشاكلة بينهما إنهما حاكمان، أحدهما في مملكة الأجسام والآخر في عالم القلوب، والفريقان مصيبان بحكمهما بالنظر إلى مغزى أساطير الأولـين، والقسم التاريخي من التوراة والرسائل المضافة إلى الإنجيل ومخطئون في الحق الأقسام التعليمية الأخلاقية فيـهما كما هم مخطئون إذا نظروا إلى أن القرآن جاء مؤيدا للاستبداد السياسي" مبررين رأيهم بعدم معرفتهم دقائق القرآن وجهل خفياه لكنهم استشهدوا بتاريخ المسلمين منذ قرون[1].

فيقول هؤلاء أن تعاليم الدين ومنها الكتب السماوية تدعوا البشر إلى خشية قوة عظيمة لا تدركها العقول وهذا ما إستغله السياسيين لمصلحتهم فيبنون إستبدادهم على هذا القبيل[2] ويستخدموا قوتهم وشموخهم لذلالناس وقهرهم وقلب حريتهم أموالهم، وهذين القوتين من استبداد سياسي وديني يشكلان عوامالبشر، بحيث يصبح المستبد المطاع بالقهر والإله المعبود بالحق سواد أعظم يصعب التفريق بينهما– فيختلطان في أذهان الناس فيعظمون الجبابرة تعظيمهم لله بل و يزيدون في هذا التعظيم ليفوق تعظيمهم لله، لأنه حليم كريم عذابه آجل غائب أما انتقام الجبار فعاجل حاضر بعض المستبدين جعلوا أنفسهم من الآلهة فما من مستبد سياسي إلا واتخذ صفة القدسية لنفسه وما ساعدهم على هذا الاستبداد هو الأمم الغابرة المنحطة بكل استعداد وتقبل للوضع[3].

"جاء الإسلام بالحكمة والعزم هادما لتشريك الديني يتضمنه الاستبداد بالكلية ومحكما القواعد الحرية السياسية المتوسطة بين الديمقراطية والارستقراطية فأسس التوحيد و أظهر لوجود حكومة

---

[1] أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مرجع سابق، ص264.

[2] محمد عبد الرحمن جرج، عبد الرحمن الكواكبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1972، ص138

[3] فهمي جدعان ،أسس التقدم عند مفكري الإسلام ،دار الشروق ،ط 3 ،1988 ، ص291 .

كحكومة الخلفاء الراشدين التي لا يسمح الزمان بمثال لها بين البشر، فان هؤلاء الخلفاء الراشدين فهموا معنى القرآن وعملوا به وإتخذوه إماما فأنشئوا حكومة قضت بالتساوي حتى بينهم و بين الفقراء الأمة في نعيم الحياة وشطفها وأحدثوا في المسلمين عواطف أخوة وروابط هيئة اجتماعية" فالقرآن جاء لمنع الاستبداد بكل أنواعه وإحياء العدل والتساوي ودعي أيضا إلى توجيه الأمة نحو الاتجاهات الصحيحة الناقدة للظلم والجور، وعليه فلا مجال لربط الإسلامية بالاستبداد و لا يجوز القول أن الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين نفوذ ديني بعيد عن الدين فهذا الدين هو ما سهل وسمح رفع الآسر والأغلال وأباء الاستبداد الذي كان ضحية لظلم الجاهلين الذين ساعدوا المستبدين على تحقيق رغباتهم فقوت دعائم الاستبداد في الإسلام ومن أهم الظواهر التي رسخت الاستبداد في الإسلام هي ظاهرة تقليد المسلمين لغيرهم[1].

إذ يقول **الكواكبي** إن مقلدين الأعاجم هم العرب المتأخرين أقوالا افتروها على الله ورسوله تضليلا للأمة على سبيل الحكمة يريدون بها إطفاء نور العلم و إطفاء نور الله، ولكن أبى الله إلا أن يتم بنوره لحفظ كتابه"الإسلام والإستبداد لا يلتقيان، فتعاليم الدين تنتهي بالناس إلى عبادة ربهم وحده، أما مراسيم الاستبداد فترتد بهم إلى وثنية وسياسة عمياء وعلى العاملين للإسلام أن يحددوا موقعهم إزاء الاستبداد، وموقفهم يجب أن يكون ضد المستبدين الذين يؤسسون أمجادهم على امتهان الجماهير والعبث بمصالحها، أعده أذن؟[2].

فالاستبداد هو من يولد الانقلاب، ومقتضاه التغلب والقهر اللذين هما من آثار التعصب والحيوانية لا من قواعد الدين الإسلامي كما يتوهم البعض والأوربيين الذين يصفون الحكومات الإسلامية بكونها بيروقراطية أي أنها جامعة ما بين الدين والسياسة وإحكام المستبد أو المستبدين في الغالب جائزة في الحق مجحفيه، بمن تحت يدهم من الخلق، لحملهم إياهم على من ليس في طوقهم من أغراض المستبد أو المستدين و شهواتهم فالاستبداد منبع شرور وسبب التأخر الانحطاط، فملوك الإسلام ورثوا لهذا الاستبداد من أكاسرة الفرس قياصرة الرومان عن

---

[1] عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد، مصدر سابق، ص35_36

[2] جورج كثورة، طبائع الكواكبي في طبائع الاستبداد،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،الطبعة الأولى 1407هـ_1987م، بيروت، ص24.

نماردة بابل وفراعنة مصرن عن جنكيز خان وتيمور لتك، والإسلام أول شريعة اعترضت على الاستبداد وقاومته وأمنت للأمة أموالها وحفظت دمائها وإعراضها مهدت السبيل للحكومة الإسلامية، ووضعت حق المالكية في الأمة، ولم تكشف بإعطائها الحرية في القول والعمل والكتابة والإجتماع بل فرضت على كل من فرد من أفرادها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فجعلت الأمة مسيطرة على الحقوق العامة ولم تفرق في الحقوق الخاصة بين المسلمين وخليفتهم ولا أولي الأمر منهم[1].

" كانت هذه الأوضاع في المدة الخلفاء الراشدين، ثم تغلب الاستبداد الأسيوي على الأحكام الدين لإسلامي وإنقلبت الخلافة إلى سلطنة ،وأصبح الخليفة الإسلام مقدسا وغير مسئول، كملوك إفرنج ليومنا هذا(...) فإذا تصفحت تواريخ الأمم السلامية في الشرق والغرب تراها مؤسسة على هذا الاستبداد الآسيوي وعلى جانب من الاستعباد الإفريقي، وليس فيها شيء من الحرية الإسلامية ولا مشورة المغمور بها في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية [2] "**كما قال الله تعالى**"، "ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم وإستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت تتوكل على الله إن الله يحب المتوكلي"آل عمران آية: 159.

أنصار الحكم المطلق والرجعة إلى الاستبداد القديم هم من أساءوا إلى الديمقراطية وقاموا بتجريبها بعدما فشل حكمهم في بلاد كثيرة، فحاولوا خداع الجماهير بالخرافات والأوهام تارة وتارة بالمظاهر والوجاهات والألقاب والأسماء وتارة أخرى بالعطايا والمواعيد، ولو أحصيت الحروب التي أريقت فيها دماء الألوف من المحاربين والماليين لخداع الشعوب وتملقيها أولو أحصيت الأرواح البريئة التي أزهقها أعداد الحرية والمعرفة، أولو أحصيت الثروات والقلاقل التي شجرت بين الحكام والرعايا من أجل المظاهر والأسماء والمنازعات الصبيانية والدعاوى الفارغة، لم يكتفي **الكواكبي** بالحديث عن الاستبداد الديني فقط تخطى إلى مجال أخر وهو أبشع أنواع الإستبداد في رأيه فيقول "العلم أساس محاربة الجهل والتخلف، فلا لاستبداد والجهل يسيطر

---

[1] محمد الغزالي، الإسلام والاستبداد السياسي،نهضة مصر للطباعة والنشر،دط،يناير2005، ،ص7

[2] روحي ألخالدي، الانقلاب العثماني و تركيا الفتاة، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، دط ، القاهرة_مصر، ص13

على العقل والنفس فيعطل ملكها ومكانتها، ولهذا لابد من ربط العلم بالعمل وعلى العوام أن لا يكونوا أداة بيد المستبد الجاهل أو المستبد السياسي بوصفه قوة مستبدة، فالاستبداد والعلم ضدان مغالبان فكل إدارة مستبد تسعى إلى إطفاء نور العلم وحصر الرعية في ذلك الجهل، لان المستبد يخلق من العلماء والراشدين المرشدين لأمن العلماء المنافقين[1].

"فاجهل هو أعظم ظواهر الانحطاط في الشرق وسيادة الاستبداد وموت الأخلاق الفاضلة من النفوس فصارت الحكومات الإسلامية مطايا للفوضى والاستبداد والاستغلال وحل الخلفاء والأمراء مكان العلماء العادلين كملوك الماغول وملوك الأتراك الظالمين ".

يخاف المستبد من علوم الحياة مثل الحكمة النظرية والفلسفة العقلية وحقوق الأمم مع طبائع الاجتماع والسياسة المدنية، والتاريخ المفصل والخطابة الأدبية ونحو ذلك من العلوم التي تكبر النفوس وتوسع العقول، وتعرف الإنسان ما هي حقوقه وتعلمه كيف الطلب وكيف النوال وكيف الحفظ،ما يخاف المستبد من أصحاب العلوم هذه المندفعين منهم لتعليم الخطابة أو الكتابة وهم المعبر عنهم في القرآن[2] بالصالحين والمصلحين، كما يبغض المستبد العلم ونتائجه يبغضه أيضا لذاته لأن العلم سلطانا، فلا بد للمستبد أن يستحقر نفسه كلما وقعت عينه على من هو أرقى منه علما، لذلك لا يجب أن يرى وجه عالم يفوق عليه فكرا فإذ احتاج إلى طبيب أو مهندس يختار الغبي المتصاغر المتملق.

لذلك توجد بين الإستبداد والعلم علاقة حربا دائمة وطردا مستمر يسعى العلماء في تنوير العقول ويجتهد المستبد إلى إطفاء نورها، والطرفان يتجاذبان العوام أولئك الذين إذا جهلوا خافوا، وإذا خافوا إستسلموا، كما أنهم هم الذين متى علموا قالوا ومتى قالوا علموا العوام هم قوة المستبد، بهم ياسر ويغضب ويصول ويطول، فيحمدونه على إبقائه حياتهم ويهينهم فيثنون

[1] عباس محمود العقاد، الحكم المطلق في القرن العشرين، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، دط، القاهرة_مصر، ص13_14

[2] حسين الجمعة، الكواكبي فيلسوف، مجلة الباحثون، سوريا، العدد:76،76، شباط _آذار 2014

على رفعته، ويغري بعضهم على بعض فيفتخرون بسياسته وإذا أصرف في أموالهم يقولون كريما" فالعوام هم من يذبحون أنفسهم بأيديهم بين الخوف الناشئ عن الجهل والغباوة[1],

الإستبداد أصل لكل داء به أثرا في كل واحد، يضغط على العقل فيعقده، ويقيم مقامه التمجد فالمجد هو أحراز المرء مقام حب وإحترام في القلوب" وهو مطلب طبيعي شريف لكل إنسان لا يرتفع عنه نبي ولا زاهد ولا ينحط عنه دني أو خامل، للمجد لذة روحية تقارب لذة العبادة عند الهانين في الله تعالى، وتعادل لذة العلم عند الحكماء، وتزيد على لذة المفاجأة الإثراء عند الفقراء و لذا يزاحم المجد النفوس منزلة الحياة"فأيهما أقوى يا ترى في نفس الإنسان الحياة أم المجد؟ فالمجد مفضل على الحياة عند الملوك والنجباء والأحرار أما الحياة هي أولى عنه الأسراء و الأذلاء و الجبناء والنساء ضرورة.والمجد محبب في النفوس لكن كيف يكون المجد في زمن الإستبداد ؟ يقابل المجد في زمن الاستبداد التمجد، فما هو التمجد ؟ ومن يكون ؟التمجد لفظ هائل المعنى، هو خاص بالمستبد، أقرب إلى المستبد بالفعل كأعوانه وعماله، وهو أيضا تقلد المرء سيفا من قبل الجبارين يبرهن على أنه جلاد في دولة الإستبداد .

وان يصبر الإنسان مستبدا صغيرا في كنف المستبد الأعظم و المستبد يستعين بهؤلاء المتمجدين كسماسرة لتغيير الأمة بإسم خدمة الوطن، أو حب الدين، أو وتوسيع المملكة أو تحصيل منافع عامة أو مسؤولية الدولة أو الدفاع عن الاستقلال، والحقيقة أن كل هذه العناوين ما هي إلا إيهام وتخييل يراد به رجال الحكومة تهييج الأمة وتضليلها ولا يستغنى المستبد عن بعض المتمجدين ضعاف القلوب، الذين يسايرونه في أعماله ولا يضرون ولا ينفعون كالبائع الغشاش، فالمستبد عاجز لا حول ولا قوة له إلا بالمتمجدين والأمة لا يقودها إلا العقلاء بالتنوير والإهداء والثبات، حتى إذا ما اكفهرت السماء عقول بينهما قيض الله لها من جمعهم الكبير أفراد كبار النفوس قادة أبرار يثرون لها السعادة بشقائهم والحياة بموتهم، حيث يكون الله

[1] محمد لطفي جمعة، حياة الشرق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة_مصر، د ق، ص 60

جعل في ذلك لذتهم، وتمثل تلك الشهادة الشريفة خلقهم كما خلق رجال عهد الاستبداد فساقا فجارا مما لكم الشهوات والمثالي[1].

المال هو قيمة وهو قبل كل شيء ولهذا فنجده يتساوى مع كل ماله قيمة، كالوقت العلم، القوة ،الدين والثبات"حتى لا نعدد بعض ما شار إليه الكواكبي وإذا كان المال قيمة بحد ذاته يصبح التلاعب به تلاعبا بالإنسان الذي يشمل ضمانه لماله، مع قلب المعادلة يعني أن يصبح المال ضمانة لصاحبه وبذلك يتحول إلى سلعة فيصبح المال سيدا والإنسان مطيعا ومما يزيد في تفاقم الأمور أن يصبح سوق المال سوقا محصورا، يتحكم فيه السلطان أو المستبد وحده ويصبح هذا التحكم مختلفا عن المعتاد، بعدما كان تحكما يخضع البضائع يصبح تحكما برقاب البشر والعباد، فهو إذا تلاعب بالقيم الإنسانية والذات.

فالإنسان أسير الاستبداد قد حرمه من حريته وإنسانية فيقول **الكواكبي** عن الاستبداد لو كان رجلا و أراد أن ينتسب لقال" انأ الشر، وأبي الظلم وأمي الإساءة، أخي الغدر،أختي المكنة، عمي الضر، خالي الذل، ابني الفقر، بنتي البطالة، عشيرتي الجهالة، وطني الخراب، أما ديني و شرفي فالمال، المال، المال".

لم يقتصر حب الإنسان للمال فقط بل يحب أن يتلذذ بدمائه، فالقيم الإنسانية التي يجب أن تسود العالم ذهبت وجاءت بدلها قيم أكثر قوة وسلبية، فالاستبداد والمال غيرا الطبيعة البشرية وساد فيها الظلم بين الناس، والإستبداد السياسي نتيجة للاستبداد الأخلاقي والاجتماعي، علينا دراسة العلاقات الاجتماعية من أجل إصلاحها، بدايتها تكون من علاقة الرجل بالمرأة باعتبارها المجتمع الأصغر الذي ينقسم إلى قسيمين متساويين في العدد، ذلك النصف الثاني ويمثل البهاء يعيش على حساب النصف الأول مع أنهن النصف المضر الموجود بالفطرة يتطور بتطور الحياة الإجتماعية[2].

---

[1] عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد، مصدر سابق ، ص 49_50

[2] فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام، مرجع سابق، ص308

أما علاقة الاستبداد بالأخلاق فهي علاقة ضعف حيث يضعف الإستبداد أمام الأخلاق الحسنة و يفسدها، يجعل الإنسان يكفر بخالقه و يحقد على قومه و يكره وطنه لأنه رافضا لواقعه، هو يعلم أن الاستبداد وراء فساد أحواله و أحوال وطنه، فيكره نفسه ويكره عائلته لضعف الأمة و الاستقرار، اذا الاستبداد يسلب الراحة الفكرية و يشتت الذهن فتبقى النفوس و تمرض العقول و يختل الشعور و يصعب التمييز بين الخير و الشر.

الاستبداد يضطر الناس إلى استباحة الكذب، والتحايل والخداع والنفاق والتخلل وإلى مراغمة الحس وإماتة النفس ونبذ الجد وترك العمل...الخ وينبع عن ذلك الاستبداد الشؤم، هو يتولى بطبعه تربية الناس على هذه الخصال الملعونة بناءا عليه يرى الآباء أن تعبهم في تربية الأبناء خاصة التربية الأولى على غير ذلك لا بد أن يذهب عبثا تحت أرجل تربية الاستبداد كما ذهبت قبلها تربية آبائهم لها أو تربية غيرهم لأبنائهم سدى".

والأولاد في عهد الإستبداد يمثلون سلاسل الحديد التي يربط الآباء أوتاد الظلم والهوان والخوف، زمن الاستبداد هو ظلم للحقوق، فالمستبون أشرار مع أعوانهم، ذكر القرآن قصص من هذا القبيل وخاصة الفراعنة كانوا يأسرون الأولاد ويستحيون النساء خاصة الأمم الضعيفة التي تقطن القرى الصغيرة لأنها مستضعفة فالتربية إذا هي ضالة الأمم فقدانها مصيبة كبيرة والإنسان يكون أنسانا بالتربية، وإذا كان الآباء على تربية عالية يكونوا أولادهم كذلك كما تكون الأفراد تكون الأمة.والتربية هي القائمة على إعداد العقل للتمييز وحسن التفهم و الإقناع وتقوية الهمة والعزيمة ثم التمرين والتعويد ثم حسن القدرة والمثال على المواظبة والإتقان وعلى التوسط والاعتدال وتكون تربية الجسم أيضا لكن مسبوقة بتربية العقل لأنهما متصاحبتان صحة واعتلالا، وتعويد الجسم على النظافة مع تحمل المشاق والمهارة في الحركة بالإضافة إلى التوقيت في النوم والغذاء والعبادة، الترتيب في العمل والرياضة والراحة وعلى أن تصطحب هذين التربيتين بتربية أخرى وهي تربية النفس على معرفة خالقها ومراقبته والخوف منه، وهذه التربية مانعة للاستبداد[1].

[1] عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مصدر سابق، ص95_96

الإنسان يسعى دائما وراء الترقي إذا لم تعرضه موانع تشل سيره فتسلب أرادته، ولعل أقوى هذه الموانع هي الاستبداد المشئوم، فيقلب السير من الترقي إلى الانحطاط ومن التقدم إلى التأخر،و من النماء إلى الفناء، "فالإستبداد يغير حالة الأمة من طلب الترقي إلى التطفل والأمم التي يسعدها جدها إلى تبديد الإستبداد تنال من الشرف الحسي والمعنوي ما لا يخطر على فكر أسرار الاستبداد فهذه بلجيكا أبطلت تكاليف الأميرية برمتها مكتفية بنماء فوائد بنك الحكومة، وهذه سويسرا يصادفها كثيرا أن لا يوجد في سجونها محبوس، وهذه اليابان أصبحت تستنزف قناطير الذهب من أوروبا وأمريكا ثمن امتيازات اختراعاتها وطبع تراجم مؤلفاتها"[1],

وبعد أن بحث الكواكبي في أسباب تدهور الشرق وتفوق الغرب علما ونظاما وقوة، يرجع ذلك إلى أن سببه الاستبداد، ويوصي الناشئين بعشر وصايا إلى حفظها عن ظهر قلب والعمل بها [2].

1- ديني ما أظهر ولا اخفي.
2- أكون حيث يكون الحق ولا أبالي.
3- أنا حر و سأموت حرا.
4- أنا مستقل لا أشكل على غير نفس و عقلي.
5- أنا إنسان الجد و الاستقبال لا إنسان الماضي و الحكايات.
6- نفسي و منفعتي قبل كل شيء.
7- الحياة كلها تعب لذيذ.
8- الوقت غال عزيز.
9- التعرف في العلم فقط.
10- أخاف الله لا سواه.

[1] عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مصدر سابق، ص 126_129
[2] محمد عبد الرحمن برج، عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق، ص15

فالكواكبيإستخدم مفرد الإستبداد كمفتاح مزدوج الهوية، لأنه أشار إلى أداء السلطات السياسية وطبيعة المجتمعات التي تنتشر فيها مثل هذا النوع من الإستبداد، مع أن السيد الفراني يميل إلى تحميل الإستبداد الدور الأول و الأكبر لكنه يقول عن آليات الإستبداد في نظام الحكم " المستبدون يتولاهم مستبد، والأحرار يتولاهم الأحرار، وهناك علاقة بين الفكر والحرية في تنظيم مثالي لحياة الأفراد في بيئة تضمن كرامتهم عما تضمن لهم حياتهم ويعطى لعلوم الحياة دورا مفصليا في إحساس الأفراد بتمنياتهم الإعتباريةفالإستبدادإرتبط بالمجتمع كالخلق الذي لا يموت إلا بموت صاحبه الذي تعلق به، مما يعطي قائمة للغاية لإمكانيات التغيير، إلا أنه لا ينفك مشيرا إلى الإستبداد كفاعل أصلي لهذه الصورة المشوهة التي تصل إليها المجتمعات المصابة به"، فلا يضرب التشوه رأس السلطة، بطبيعة الحال بل كل فروع المجتمع وربما هي مسألة يراها الكثير في العالم العربي لا تزال راهنة في المؤسسات هنا و هناك.

بعد أن عرضنا الإستبداد من التعريف و أنواعه و علاقاته، نتطرق الآن إلى التخلص منه يقول **الكواكبي** في هذا السياق أنه لا توجد أعظم من مدرسة التاريخ الطبيعي، ولا برهان أقوى من الإستقرار، فإذا تتبعنا حياة الإنسان منذ بداياتها أي منذ البدايات الطبيعية له والتي تسمى بدور الإفتراس، لأن الإنسان عاش فيها بسيطا يعتمد في رزقه على الطبيعة من نبات وحيوان، ثم ترقى وتحولت حياته إلى حالة البداوة والتي تسمى بدور الإقتناء، مما دعي إلى تكوين عشائر وقبائل، تطورت حياته من خلال هذا إلى حاجات أخرى أكبر من حالته وهو في الطبيعة، كحفظ المال العام والأنعام والمراعي والمياه...الخ، وبعد هذا إنتقل إلى حالة الحضرية فإزدهرت حياته وتوسع مجال عمله ومعاشه، ثم تطورت المدن والأفراد وضم الصناع وأهل المعارف والعلوم، مما أدى إلى تنوع أشكال الحكومات وعدم إستقرار الأمة، فكل الأمم في تقلبات سياسية على سبيل التخريب وبحسب تغلب أحزاب الإحتماء أو رجال الإستبداد[1].

فأعظم وأقدم مشكلة في البشر هي شكل الحكومة التي تمثل المعترك الأكبر بين الباحثين "والميدان الذي قل في البشر من لا يجول فيه على قيل من الفكر أو على جهل من الجهل أو على فرس من الفراسة، أو على حمار من الحمق، حتى جاء الزمن الأخير فجال فيه الإنسان

[1]عهد فاصل، عبد الكواكبي.إصلاحي الماضي الذي لا يمضي، مجلة، العدد5،278 مارس 2014

الغرب جولة المغوار الممتطي في التحقيق مراكب البخار، فقرر بعض قواعد الأساسية في هذا الباب تضافر عليها العقل والتجريب، وحصحص فيها الحق اليقين، فصارت تعد من المقررات الاجتماعية عند الأمم المرتقية، ولا يعارض ذلك كون الأمم لم تزل أيضا منقسمة إلى أحزاب سياسية يختلفون شيعا" فمن هذه القواعد التي قد صارت قضايا بديهية في الغرب يجهلها الشرق لأنهم لم يسمعوا عنها بتاتا عدا البعض، أما البعض الآخر فلم تلفت انتباههم ولم يدققوا فيها، أما الآخرون فلم يقبلوها لأن لهم أعراض أخرى وغالبا ما تكون قلوبهم مريضة.

ثم يقوم **الكواكبي** بطرح بعض المسائل لبعض المباحث التي تتعلق بأمور الحياة السياسية لتحقيق المطالعين و هي:

1- مبحث ما هي الأمة أي الشعب؟

هل هي مجموعة من المخلوقات أو جمعية عبيد لحاكم جبار وظيفتهم طاعته ولو كان هذا كرها عليهم ، أم هي جمع علاقات بين الدين ،اللغة ، الوطن، حقوق مشتركة وجامعة سياسية إمتيازيه، فلكل فرد الحق في إبداء رأيه والإبلاغ عنه وفقا للقاعدة الإسلامية.

2- مبحث ما هي الحكومة؟

هي إمتلاك شخص ما للأفراد بالتحكم والتدخل في حياتهم، فيتمتع بأعمالهم ويفعل بإرادته ما يشاء؟ أم هي وكالة تقاوم بإرادة الأمة لأجل إدارة شؤونها المشتركة العمومية[1].

3- مبحث ما هي الحقوق العمومية ؟

هل هي حق للملوك و تضاف للأمم مجازا ؟ أم بالعكس هي حق للأمم و أضيفت مجازا للأمم ولهم عليها سلطة الأمانة والنضارة كالأراضي، المعادن، الأنهار،السواحل، القلاع المعابد، الأساطيل، المعدات وولاية الحدود والحراسة من أجل الأمن العام، العدل، النظام حفظ، صيانة الدين، الآداب، القوانين، المعاهدات والأشجار إلى غير ذلك مما يحق لكل فرد أن يتمتع به و أن يطمئن عليه ؟

[1] عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مصدر سابق، ص130_132

4- مبحث التساوي في الحقوق.

هل تكون الحكومة حافظة لحقوق الجميع بالتساوي و الشيوع أم أن لها الحق في التصرف في الحقوق العامة المادية و الأدبية كما تشاء بذلا و حرمانا ؟

5- مبحث الحكومة.

"هل الأصلح هي الحكومة المطلقة من كل زمام ؟ أم الملكية مقيدة ؟ وماهي القيود ؟ أم الرئاسة الانتخابية الدائمة مع الحياة أو المؤقتة إلى أجل ؟ وهل تنال الحاكمية بالوراثة أو العهد أو الغلبة ؟ وهل يكون ذلك كما تشاء الصدف، أم مع وجود شروط الكفاءة، وما هي تلك الشروط؟ وكيف يصير تحقيق وجودها ؟ و كيف يراقب استمرارها ؟"

أما وظائفها فتكون في إدارة شؤون الأمة حسب الرأي والاجتهاد ولا تنديد بقوانين خارج رغبات الأمة مع حفظ الحقوق الحكومية بطاعة الأمة لها وعلى الحكومة العمل كتعيين موارد المال وترتيب طرائق جبائية وحفظها؟ وللأمة حق في السيطرة على الحكومة عن طريق النواب ومن وظائفهم حفظ القوانين الأساسية المقررة للأمة على الحكومة[1].

6- مبحث حفظ الأمن العام:

"هل يجب على الفرد حماية نفسه؟ أم هذا واجب الحكومة ؟ وهل للحكومة الحق في إيقاع عمل إكراهي على الأفراد برأيها بدون الوسائط القانونية؟ وهل العدل يكون ما تراه الحكومة أم ما يراه القضاة المصون وما يقوله وجدانهم خارج عن الشرع والحق ؟".

7- مبحث حفظ الدين و الآداب.

هل يكون للحكومة سلطة وسيطرة على العقائد والضمائر ؟ أم تقتصر وظيفتها في حفظ الجامعات الكبرى كالدين، الجنسية، اللغة، العادات، والآداب العمومية على إستعمال الحكمة

[1] عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد، مصدر سابق، ص136_137

وأن لا تتدخل الحكومة في أمر الدين ما لم تنتهك حرمته؟ وهل السياسة الإسلامية سياسة دينية أم كان ذلك في مبدأ ظهور الإسلام كالإدارة العرفية عقب الفتح؟.

8- مبحث توزيع الأعمال و تعريف السلطات.

كيف توزع الحقوق العامة على كافة القبائل، وهل تجمع بين سلطتين أو ثلاث في شخص واحد؟ أم تختص كل وظيفة من السياسة والدين والتعليم بمن يقوم بإتقان ولا إتقان بلا اختصاص،هل للحكومة صلاحية الضغط على العقول والتحكم في نشاط الأمة؟

9- مبحث السعي في رفع الاستبداد:

هل ينتظر ذلك من الحكومة ذاتها ؟ أم نوال الحرية ورفع الاستبداد رفعا لا يترك مجالا لعودته من وظيفة عقلاء الأمة؟ ويقصد **الكواكبي** من هذه الأبحاث أن يذكر ذوي الألباب على حد قوله، ولعله يريد أن يردد الآية الكريمة "**وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين**"[1].

اختصر الكواكبي القواعد التي يراها مناسبة لرفع الاستبداد بثلاث، وهذه القواعد هي:

1: الأمة التي لا يشعر كلها أو أكثرها بألأمالاستبداد لا تتحقق الحرية، فالأمة إذا تعرضت للظلم تشبه الجسم في تعرضه للمرض وإذا استحكم هذا المرض ينتقل الوضع من السيئ إلى الأسوأ، كالمرض الذي يدخل الجسم فيقتله ويموت، وقد ينتقل من مستبد معين، ولكن هذا لا يعني التخلص منه كداء، إذا أن استبدال المستبد لا يعني القضاء عليه والحرية إذا أتت للأمة صدفة تذهب صدفة أيضا، فلن تحفظ هذه الحرية ما لم تعرف طعمها.

2: الاستبداد لا يقاوم بالشدة إنما يقوم باليين والتدرج.

3: يجب قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ماذا يستبدل بالاستبداد.

"ويرى **الكواكبي** أن الاستبداد لا يقاوم بالشدة وليس معنى هذا الإستبداد وإنما هو يرى أن يكون ذلك بإقناع أفـراد الأمة بمساوئه وأضـراره وهو هنا يدعو للتربية والتثقيف شأنه في دلك شان الأستاذ محمد عبده".[2] إنه ينبغي أن يسبق الثورة على الإستبداد تخطيط لما ينبغي

---

[1] محمد عبد الرحمن برج، الكواكبي، مرجع سابق، ص 159

[2] جورج كثورة، طبائع الكواكبي في طبائع الاستبداد، مرجع سابق، ص 128

إستبداله بعده حتى لا يحل محله استبداد أخر أو ما ظن أن الثورة من الثوران أهملت ذلك وقدر لها أن تنجح أو تستمر أنها تصبح أشبه ما يكون بوميض اللهب سرعان ما ينطفئ يحرق نفسه قبل أن يحرق غيره.

ثم ختم **الكواكبي** قوله بأنه غـير يائس من المستقبل فان يوم الله قريب الذي يقل فيه لتقارن في العلم وعندئذ تتكافأ القوات بين البشر فتنحل السلطة ويرتفع الغالب فيسود بين الناس العدل فيبعثون بشرا لا شعوب وشركات لا دولا[1].

(1) محمد عبد الرحمن برج، عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق، ص162

الفصل الثالث:

فكر الكواكبي

من الراهنية إلى الاستشراف

المبحث الأول: العلمانية في فكر الكواكبي

المبحث الثاني: فكرة أم القرى

المبحث الثالث: نتائج فكر الكواكبي على الواقع العربي

المبحث الرابع: نقد

المبحث الأول : العلمانية في فكر الكواكبي

من المعروف تاريخيا أن العالم العربي كان يعيش في القرن التاسع عشر ظرفية تأخر تاريخي شاملة "ممثلة في ركود بنياتهالاقتصاديةوالاجتماعية، وجمود بنياته الفكرية على قوالب تقليدية وبسيطة، ومن المعروف أيضا أن العالم العربي دخل في نفس الفترة الزمنية المذكورة في علاقة اصطدام مع أوروبا الإمبريالية وهو ما يعني حصول صدام مع بنية تاريخية مغايرة لبنية المجتمعات العربية الإسلامية، وقد ولد هذا التقابل صراعا تاريخيا شمل مختلف أصعدة الوجود التاريخي العربي في المجتمع والفكر والوجدان".

خلف الإصطدام التاريخي بين الإمبريالية الغربية وبلاد العروبة و الإسلام ، وعي بالفارق الحضاري بين الذات المتمثلة في العالم الإسلامي وبين الآخر المتمثل في أوروبا القوية والمتقدمة والمستعمرة.....الخ.

وعليه أدرك العالم الإسلامي أنه لابد من التسلح بأسلحة العصر، والمتمثلة في بناء الدولة العصرية القادرة على تحقيق النهضة الموجودةفلا تقدم بدون تنظيمات وداخل دائرة هذا الوعي السياسي كتب **الطهطاوي** و**خير الدين التونسي** ما كتباه في باب الأدبيات السياسية الإصلاحية ذات الروح النهضوية، وقد سادت كتابتهما نفحة توفقية اتجهت نحو محاولة دمج المفاهيم السياسية الشرعية المشكلة للذاكرة التراثية، عنوان تواصل اللحظة التاريخية مع ماضيها البعيد[1].

---

[1] كمال عبد اللطيف، مفاهيم ملتبسة في الفكر المعاصر، دار الطليعة، بيروت،ط1 ، تموز (يوليو) 1992، ص19.**الإمبريالية**:من اللاتينية وهي سلطة رأسمالية احتكارية تمثل المرحلة الأخيرة في تطور الرأسمالية حيث تشكل سيطرة الاحتكارات بحيث تكون التجمعات الضخمة هي سمتها المميزة.ينظرمصطفى حسيبة،المعجم الفلسفي ،ص92

وفي نهاية القرن التاسع عشر بالذاتكانت ملامح الوعي الإصلاحي قد اتخذت صورة مشاريع التقدم والترقي واليقظة ومواكبة الديناميكية الجديدة التي بعثها المد الإمبريالي في جغرافية المنطقة العربية وخاصة في بلاد الشام ومصر، بحيث كان سؤال النهضة الكبير هو : **كيف يمكن تجاوز التأخر السائد في المجتمعات الإسلامية** ؟ وقد تفرع سؤال أساسي يتعلق بكيفية مواجهة الغربية التي حملتها رياح التغريب الاستعمارية.

"يقول**محمد عمارة** أن أمتنا على مدى ثلاثة عشر قرنا حكمت بالشريعة الإسلامية كيف تم الاختزال كيف أصبحت هناك ثنائية في القانون ؟ كيف زاحمت القوانين الغربية شريعتنا الإسلامية في مؤسسات الحقوق وفي القضاء وفي مؤسسات التشريع".ثم يقول أن من عصر **الخديوي إسماعيل** لم تكن هناك علمانية ولم يكن هناك قضاء مدني بالمعنى الغربي ولم يكن هناك تشريع و ضعي بالمعنى الغربي فهذا القانون أثر من آثار الاستعمار مثله كمثل القواعد العسكرية وكمثل النهب الاقتصادي.

قد دافع **جمال الدين الأفغاني** و**محمد عبده** عن الإسلام وحاولا ترسيخ الشخصية الإسلامية في التاريخ في سبيل مواجهة حملات المسح والتغريب الحاصلة بفعل التغلغل الاستعماري في المجال الحضاري الإسلامي، وفي مقابل هذه الدعوة ظهرت نزعة إصلاحية أخرىتميزت بطابعها التغريبي الليبرالي، حيث دعا إعلامها إلى محالة التعلم من النهضة الأوروبية[1]

درس الحداثة والتقدم ويتعلق الأمر بالدعاوى التي قدمها كل من **شبلي الشميل** و**فرح انطوان** "فقد عبر هذان المصلحان عن وعيهما أيضا بالفارق التاريخي بين التأخر الإسلامي والتقدم الأوروبي ودافعا عن الأطروحة النهضوية التي ترى أن لا سبيل لتجاوز التأخر إلا بالاستفادة من

[1] خالد محسن، مصر بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية، مركز الإعلام العربي، ط1، 1412هـ.1992م ، ص49.

تجربة النهضة الأوروبية ودروسها، فلم يعد بإمكان المجتمعات العربية بلوغ التقدم دون المرور بالطريق الذي عرفته أوروبا، ويتعلق الأمر بالذات بإصلاح المؤسسات السياسية وتعميم المعارف العلمية وفصل الدين عن الدولة" إلىغير ذلك من المفاهيم والشعارات التي بلورها الخطاب السياسي الليبرالي ووجدت لها صدى وإستمرارية في الوعي العربي.

عاش **عبد الرحمان الكواكبي** في ظل هذه الأحداث فهل يمكننا إعتباره مفكرا علمانيا ؟ يقول المستشرق الفرنسي **نوربيرتابيرو** بأنه أول ما نادى بطريقة واضحة ومحددة بفكرة فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية، وإلغاء أساس الخلافة الروحية، ونظام حكم دستوري ديمقراطي وأن يصير موضوع الدولة المدنية، وأنه بذلك يستحق لقب الطليعة وحده في تلك الأموريرى **محمد عمارة** أيضا أن **الكواكبي** وصل إلى ذروة الحسم والوضوح فيمعالجة مسألة الفصل بين السلطة الدينية والسياسية ودعا إلى ضرورة فصل السلطتين الدينية والسياسية.ويعتبر **الكواكبي** أول من نادى بفكرة العلمانية حسب مفهومها الأوروبي الصريح إذ قال "يا قوم وأعني بكم الناطقين بالضاد من غير المسلمين وأدعوكم إلى تناسي الإساءات والأحقاد، وما خباه الآباء والأجداد فقد كفى ما فعل ذلك على أيدي المثيرين، وأجلكم من لا تهتدوا لوسائل الإتحاد وأنتم المتنورون السابقون فهذه أمم اوستريا وأمريكا قد هداها العلم لطرائق الإتحاد الوطني دون الديني والوفاق الجنسي دون المذهبي والارتباط السياسي دون الإداري...."[1].

دعونا ندير حياتنا، ونجعل الأديان تحكم الآخرة فقط دعونا نجتمع على كلمات سواء، ألا وهي حب الأمة، فليحيا الوطن، فلنحيا طلقات أعزاء.قبل أن نتطرق إلى تجسيد العلمانية في

[1] كمال عبد اللطيف، مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص21

الفكر العربي الإسلام من خلال منظور **الكواكبي** يجب علينا **معرفة العلمانية بحد ذاتها وكيف ظهرت في العالم الإسلامي؟ ولماذا دعا إليها الكواكبي ؟**[1]

فالعلمانية من أهم المصطلحات في الخطاب التحليلي الاجتماعي والسياسي والفلسفي الحديث فالعلمانية—تفتح العين- مشتقة من كلمة علم وهي مرادفة لكلمة عالم، تعني في الكلمة باليونانية **لاوس** أي شعب ورعاع على عكس كلمة الكهنة الذين كانواالنخبة في الماضي وهكذا صارت الكلمة تدل على القضايا الشعبية على عكس الكهنوتية الدينية.

تعنى العلمانية بالإنجليزية Secularism فترجمتها الصحيحة من اللاتينية هي الدنيوية وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين وتعني في جانبها السياسي بالذات اللاتينية في الحكم، بحيث تعني على المستوى السياسي المطالبة بحرية الاعتقاد وتحرير المعتقدات الدينية من تدخل الحكومة والأنظمة، وذلك بفصل الدولة عن أي معتقدات دينية أو غيبية وحصر دور الدولة في الأمور المادية فقط.

"نشأت العلمانيةبأوروبا في عصر التنوير في القرن الثامن عشر، حيث لعبت دورا أساسيا في المجتمع الغربي، وأول من دعى إلى فكرة العلمانية هو الملحد البريطاني **جورج هيولياكي** أما كندا، فكانت أول دولة تطبق مبادئ العلمانية في حكم بلادها" [2].

ثم بدأت الفكرة بالانتشار إلى الهند، اليابان وتركيا حيث طبقت في تاريخ 3 مارس 1924 عندما قام **مصطفى كمال أتاتورك** بعزل الشريعة الإسلامية عن الحكم والسياسة.

---

[1] سيد بن حسين العفاني، أعلام و أقزام في ميزان الإسلام ، دار ماجدة عيري للنشر والتوزيع، ج1424،1هـ-2004م-ص61.

[2] سهيل ألعروسي، دراسة في إشكالية الثنائيات الثقافية العربية عبد الرحمان الكواكبي نموذجا، إتحاد الكتاب العرب، دمشق2003، ص86

خرج مصطلح العلمانية من رحم التجربة الغربية، إلا أنهانتقلإلى القاموس الغربي، مثيرا الجدل حول دلالته وأبعاده، والواقع أن الجدل حول مصطلح العلمانية في ترجمته للعربية يعد إفرازا طبيعيا لاختلاف الفكر والممارسة العربية الإسلامية عن السائد في البيئة التي أنتجت هذا المفهوم،لكن هذا لم يمنع المفكرين العرب من المحاولة في تعريف العلمانية، حيث يرى المفكر المغربي **محمد عابد الجابري** أن مصطلح العلمانية لا يعني فصل الكنيسة عن الدولة فهذا لا يتلائم مع الواقع العربي الإسلامي ويستبدله بفكرة الديمقراطية أما **حسن حنفي** فيرى أن النموذج الإسلامي قائم على العلمانية بمعنى غياب الكهنوت أي بعبارة أخرى المؤسسات الدينية الوسطية.

"لكن العلمانية لا تناسب الإسلام لأن منشأها الأصلي أوروبا، ظهرت فيه كنتيجة لمضايقة الساسةللعلماء، لكن الإسلام لا يمنع العلم بل يدعو إليه، **قال تعالى(ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن اله عزيز غفور)** سورة فاطر/28".

فالعلمانية عندما ظهرت في الغرب كان لها مبررات دينية، فكرية، نفسية، تاريخية وواقعية،وهذه المبررات خاصة بالعالم الغربي لا يجوز للعالم الإسلامي أن يقلده فيهافتاريخ الفكر الغربي لم يعرف الله الذي نعرفه نحن المسلين، محيطا بكل شيء، مدبرا لكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عن علمه ذرة لاقي السموات ولا في الأرض وسع كل شيء[1].

في رحمته أما إله الغرب هو إله آخر مثل إله **أرسطو** الذي لا يعلم شيء غير ذاته، والإسلام لا يعرف هذا الإله فعقيدة الإسلام هي التوحيد ترفض الشرك بعبودية الله،"فلا يمكنللعلمانية أن تنجح في بلاد إسلامي، لأنها مناقضة لطبيعة الإسلام، التي تدين به الشعوب الإسلامية

[1]مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن – عمان،ط1،2009 م ، ص 344 -350.

ومناقضة لمفاهيمه وسلوكه وتاريخه، لأن الاتجاه العلماني يعوق انطلاق الأمة بكل طاقاتها لأنه غريب عنها، دخيل عليها، لا يحركها من الداخل ولا يخاطبها باللسان الذي يهز كينونتها[1] ".

فأبرز بلد إسلامي حكمته العلمانية ونفذت فيه خططها، هو تركيا بلد الخلافة الإسلامية الأخيرة حيث قام**أتاتورك** بتطبيقه النموذج الغربي في جميع الأصعدة فسلخ تراثه وقيمه وتقاليده وأقام دستورا لا دينيا، ولكن السؤال **هل أنطفأ الإسلام من ضمائر الأتراك؟**

من أهم معرقلات التقدم في العالم العربي هي الاستبداد لذلك طرحت فكرة الديمقراطية كبديل للوضع الراهن، لأن الديمقراطية ضد النظام الاستبدادي، ولأن الديمقراطية هي قيم إسلامية لأن الإسلام يؤمن بحقوق الإنسان وحرية التعبير عن الرأي والمساواة أمام القانون والتعددية قديما، فالديمقراطية مندرجة في الإسلام فالناس أحرار في الإسلام، أحرار في عقائدهم وأعمالهم ما لم تكن مؤامرة في الموضوع.

"فالاستبداد يبدأ عندما تنتهي سلطة القانون، ويتفاقم أمره إذا عطل القانون والسلطان هو المرجع النهائي في الحكومات المستبدة، لذا فالممارسات الديمقراطية والبرلمانية في ظل الكومات المستبدة ممارسات شكلية تنتهي عند أعتاب إدارة الحاكم، رئيسا أم ملكا لكن ظاهر الاستبداد تختفي في البلدان التي تحترم قوانينها"[2].

وهذا ما دعى إليه **الكواكبي** إلى ضرورة تطبيق القوانين، واعتبرها قاعدة ومرجعا نهائيا للحكام والشعب على حد سواء، بل واشترط أن يكون القانون معبرا عن إرادة الأمة ويلبي طموحاتها ويحقق مصالحها ويحفظ حقوقها[3]،ومن هنا نجيب عن السؤال الذي سبق طرحه فيما إن كان

---

[1] مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق ، ص 355.

[2] يوسف القرضاوي، الإسلام و العلمانية وجها لوجه، مكتبة وهبة للنشر، القاهرة، دط ، ص 54-55

[3] ماجد الغرباوي ، إشكاليات التجديد ، مرجع سابق ، ص 62.

الكواكبي مفكرا علمانيا في الحقيقة أن أراد المفكرين انقسمت إلى قسمين، القسم الأول يرى أن الكواكبي علمانيا أما النصف الآخر فينكر هذا تماما، ويرى أنهمن دعاة الشورى والخلافة بالرجوع إلى الدين الإسلامي في القوانين الأمور السياسية.

فيقول"**جمال الطحان** أن **الكواكبي** وضع الديمقراطية كبديل للاستبداد لكن أي ديمقراطية أرادها، أراد **الكواكبي** ديمقراطية عربية إسلامية خاصة ، تستوعب وتتجاوز أشكال الديمقراطية الحديثة، فالكواكبي لم يدع إلى علمانية بمعناها فصل الدين عن الدولة و إنما دعى إلى الإسلامية المعلنة كمنهجا عاما للدولة، فقد ميز الدين والدولة لكنه لم يفصل بينهما فصلا تاما، بما في ذلك مؤسسة الحكم يراها إطارا عاما لها هذا مع إصراره على إيجاد السلطة السياسية عن الدولة والتعلم"، إلا للحماية والتنظيم ورفض أن يجتمع الرابط الديني بالسلطة السياسية تحت لواء الخلافة (رمزا دينيا)، بل أنه طالب بأنه تكون الخلافة رمزا دينيا يحمل لواء العرب ويبقى بعيدا عن وحدة العرب السياسية.

إذا تحدثنا عن الشورى في الإسلام فإننا نقصد الشورى الحقيقية وليست الشورى المزيفة، ففي كثير من البلاد العربية والإسلامية مجالس الشورى، ولكنها مجالس للتصنيف والموافقة على ما يريده الحاكم لخداع الجماهير في الداخل والخارج[1].

ولكنه في الحقيقة يخدع نفسه فالناس جميعا في الداخل والخارج يدركون هذا ويسخرون منه، و يعرفون أنها ليست ذات مدلول فكم من مشروع قرار جاء بهذه المجالس من الرئيس أو يوحي منه وكانت مهمة المجالس أن توافق عليه دون دراسة أو تفكير، لأن هذه الجماعة ذيل للحاكم وتابعة له وبعض المشروعات كانت تتم الموافقة عليها دون إطلاع أو قراءة كمشروع تطوير الأزهر في عهد **عبد الناصر**.

---

[1] جمال الطحان، الكواكبي بين الدين والدولة ، ديوان العرب .20اذار2017.

"إن الشورى في الإسلام هي الشورى الحقيقية حيث تبحث الهيئة الاستشارية، وتقول رأيها في حرية كاملة غير خائفة من عنف السلطة أو من سخط القيادات، ونقرر في حزم أن الانحراف عن الشورى الحقيقية يصيب البلاد و العباد بأقصى العواقب، بل يصيب الرئيس نفسه بأسوأ النتائج وفي **عبد الناصر**، و**سوكارنو**، **أنور السادات** ، **أيوب خان ويحي خانعبد الله الهلال** موعظة لمن أراد أن يتعظ، ولمن أراد أن يحمي نفسه من الكوارث وأقصى الذكريات".

فالشورى هي استخراج الرأي من أهل الرأي ومراجعة البعض للبعض، وذلك يعرض الأمر على من عندهم القدرة على بيان الرأي، ويترجى منهم الوصول إلى الصواب وهذا يعني أن للشورى طرفا يسمع وطرفا يشير، وأطراف تتحاور وتتناقش وتقلب الرأي على وجوهه المختلفة، وتتبادل وجهات النظر في الموضوع، وتهدف من هذا الحوار إلى أن تنير الرأي المشار، قبل أن يقوم بتصرف منفرد آت من رأي منفرد، بل يقوم بالتصرف على أساس التشاور بعد المعضلة، وأخذ الرأي ممن عرفوا بالتجربة والسداد.

لا تنحصر الشورى في مجال واحد معين بل لها عدة مجالات متعددة وشاملة لجميع مجالات الحياة الإنسانية، سواء في شؤون الحكم، القضاء، الأحكام الإدارية والعسكرية[1].

البيت أو الأمور الخاصة، فقد يستشير الحاكم أهل الرأي من رجال الدولةوعلمائها.وأعيانها في شأن من شؤون الحكم، وقد يستشير القاضي أهل العلم والفقه فيما يعرض له من القضاءكما يستشير بعض الناس ممن لهم خبرة أو ممن كان يستأنس برأيهم في الموضوع كالزواج، الطلاق البيع، الشراء، الإجازة أو القيام بإنشاء شركة و أمثال ذلك،

وقد يستشير الحاكم أو القائد في شؤون الحرب والجهاد وخططها العسكرية وأسلحتها وميادينها ومناوراتها.

---

[1] جمال الطحان، الكواكبي بين الدين و الدولة ، مرجع سابق.

لقد أوجب الله على **رسوله** وهو الذي ينزل عليه الوحي بالتشريع والتوجيه وحل المشكلات أن يستشير المسلمين فقال تعالى " وشاورهم في الأمر" آل عمران 159، فأمره جازما بأن يستشيرهم، وما أمر الله لنبيه "ص" بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ، وأن يحملهم على الإقتداء بالرسول، وأن يرفع من أقدارهم بإشراكهم في الحكم وتعويدهم على مراقبة الحكام، وأن يحول بين الحكام والاستئثار بالحكم المتعالي على الناس.

فعندما نزلت هذه الآية عن **الرسول** (وشاورهم في الأمر) قال "أما إن الله ورسوله لغنيان عنها: أي عن الشورة، ولكن جعلها الله رحمة لأمتي، فمتن استشار منهم لم يعدم رشدا ومن تركها لم يعدم غيا، ففي هذا الحديث حض شديد على الشورى، فهو يبين لنا أن الشورى تهدي إلى الرشاد وأن الاستبداد بالرأي يهدي إلى الغي والضلال".

أراد **الكواكبي** الشورى الإسلامية لإرسال دعائم وقواعد الحرية والعدل والمساواة من أجل تقدم الإنسان ورقيه، فبعث حوالي ثلاثين عاما متمحصا وجد أن الداء هو الاستبداد السياسي ودواؤه الشورى الدستورية التي تنتمي إلى مجال السياسة، فهي تعني مشاركة الرعايا في سياسة الدولة وشؤون الحكم بحث عن القرار الأكثر صوابا على أن يتم ذلك حدود القانون[1].

وأن الصلاح أو الفساد دائرتان مع سنة الاستشارة أو الاستقلال في الرأي، فإن الحكومة الصالحة العادلة،" التي توفر الأمان الروحي و الفكري والجسمي وهي تقوم بواجباتها ومسؤوليتها إتجاه المجتمع، لا تستطيع القيام بوظائفها تلك إلا إذا كان نظامها يسير وفق نظام الحكم التشريعي ذي الصفة الديمقراطية و انفع ما بلغه الترقي في البشر هو أحكامهم في أصول

[1] أحمد شلبي، السياسة في الفكر الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، 1992، ص 92.

الحكومات المنتظمة ويجعلهم لا قوة ولا نفوذ فوق الشرع ويجعلهم قوة التشريع في يد الأمة والأمة تجتمع على ضلال"[1] .

ويقوم بوظيفة الشورى هذه من عناصر القرآن بأهل الذكر واصطلح على تسميعهم بأهل الحال والعقد من قائدة الأمة وهمداتها كما أطلق **الكواكبي** على هذه الشورى إسم الشورى الأرستقراطية أو شورى الأشراف، كالأشخاص جديرين بحمل مسؤولية هذه الوظيفة الشريفة، وهم خواص الطبقة العليا في الأمة، الذين أمر الله عن شأنه نبيه بمشاورتهم في الأمر الذي لهم شرعا حق الاحتساب والسيطرة على الإمام والعمال لأنهم رؤساء الأمة ووكلاء العامة.

والقانون في الحكومة الإسلامية مقام مجالس النواب والأشراف في الحكومات المقيدة،ولهذا لم يجعل السلطة التشريعية حكرا على الأصداء أو الأغنياء، بل يرى أن الحاسم هو وجود أيعام غالب لسواء الناس فإذا تحقق توفره استطاعت الأمة أن تقيم لنفسها حكومة انتخابية لا وراثية حتى بوجود الأصلاء بيننا وبذلك يقر بضرورة مجلس النوابكسلطة تشريعية وظيفتها السيطرة والاحتساب على السلطة التنفيذية التي يسميها الإدارة العمومية السياسية فالمراد هو إقامة فئة تسيطر على حاكمها كما اهتدت إلى ذلك الأمم الموفقة للخير[2].فخصصت منها جماعات باسم مجالس نواب وظيفتها السيطرة والاحتساب على الإدارة العمومية: السياسية، المالية والتنفيذية، ودور الفقيه والسلطان في تحيد وظائف الشورى أيضا في تحميص أمهات المسائل الدينية المرتبطة بسياسة الأمة، حيث أورد على لسان الأمير العربي قوله[3].

---

[1] عبد العزيز الخياط، وأمرهم شورى، مؤسسة آل البيت، عمان ، دط، 1993 ص 7.

[2] عبد القادر عودة ، الإسلام وأوضاعنا السياسية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقلفة، مدينة نصر، القاهرة، دط7، ص 127.

[3] عبد القادر عودة ، الإسلام وأوضاعنا السياسية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقلفة، مدينة نصر، القاهرة، دط7، ص 127.

"أما عن وظائف الشورى العامة فلا فتقضي أن لا تخرج أمهات لمسائل الدينية التي لها تعلق مهم في سياسة الأمة وتأثير قوى في أخلاقها ونشاطها، وذلك من باب النظر والاجتهاد تمحيها للشريعة، وتيسيرا للدين، وسد أبواب الحروب، وكفتح أبواب حسن الطاعة للحكومات العادلة والاستفادة من إرشاداتها وإن كانت مسلمة وسد أبواب الانقياد المطلق".

يفصل **الكواكبي** بين الحاكم والخليفة كأساس لتحقيق الحكم الدستوري فالحكام يجب أن يكونوا كثيرون، لأنه لا يجوز أن يحكم سلطان واحد جميع الأقاليم الإسلامية، بل لابد من ينال كل إقليم إستقاله ويعمل بقوانين خاصة وتكون سلطة الحاكم مدنية، في حين سلطة الخليفة دينية معنوية دون أي سلطة سياسية إلا على الحجاز، وسلطته المعنوية تلك هيسلطة مقيدة بإشراف مجلس الشورى الإسلامي، الذي يجعل من الخليفة مجرد رمز شكلي للإتحاد الروحي بين المسلمين مما يساعد على إصلاح الدين ومن الخلافة مؤسسة متنقلة عن أمور الحكم، تعود إلى العرب وتقوم على أساس الشورى والانتخاب، وبهذا يكون **الكواكبي** أول من دعى إلى إقامة دولة وطنية تفصل فيها السلطة التنفيذية عن الدين، خلافا لما طرحه المفكرين المسلمين قبله[1].

دعى**الكواكبي** إلى إقامة حكومة نيابية اشتراكية يشترك فيها المواطنون في تسيير أنفسهم بأنفسهم، بما يحقق العدل فيما بينهم في ظل اشتراكية توزع بينهم الثروة بالتساوي وتوفر لهم فرص العمل والإنتاج دون تمييز واستثناء.

فلم يقدم لنا حلا جذريا لطبيعة النظام الذي يجب أن يكون، فهو لم ينادي بنظام حكومة معين كالحومة الملكية المقيدة مثلا بل أكد على أن جميع الأنظمة سواء ملكية أو جمهورية يجب أن تكون مقيدة، أسسها العام الديمقراطية.

---

[1] آمال رزنيز، مفهوم الشورى في الفكر العربي الإسلامي الحديث مقارنة عبد الرحمان الكواكبي ومحمد حسين النائيلي، مركز الشرق العربيللدراسات الحضارية والإستراتيجية، المملكة المتحدة-لندن- الإثنين 2010/05/24.

يمكننا في الأخير إستخلاص السبب الحقيقي الذي يفصل **الكواكبي** بين الدين والدولة وهو أن "ذلك لأنه وجد أن تسلط السلطان على أمور الدين مفسدة للعقائد وجعلها ألعوبة بيد الحكم، وذلك واضح جدا فلقد أمر **السلطان عبد الحميد** الثاني الملقب بالأحمر الذي كان يسطر على الأمور الدينية، ممثلا بمنافقين أقاموا من أنفسهم سلطة دينية وابتدعوا لقب رجل دين غير المقبول في الإسلام أن تحذف من اللغتين العربية والتركية ألفاظ

كثيرة يمكن أن ستشعر منها التحريض على الثورة أو الحرية، ثم وصل به الأمر إلى الأحاديث الشريفة ليلغي منها ما يشاء" ثم وصل إلى القرآن ، ويذكر أنه طلب إعادة طبع صحيح مسلم.

وهذا ما دفع **الكواكبي** إلى وجوب فصل الدولة عن الأمور الدينية خوفا منه أن يتطاول السلاطين على أوقات الصلاة والصوم حسب أهوائهم، حرصا منه على الشريعة الإسلامية وشعائرها من أن تنالها يد السلطان وحرص أيضا على الأمور الدنيوية من أن تنالها مداخلات رجال الدين لذلك قرر **الكواكبي** أن تكون الخلافة في **قريش** وفي **مكة المكرمة** وأن الخليفة لا يكون السلطان العثماني ولا من غيرهم[1].

[1] عباس محمود العقاد عبد الرحمان الكواكبي مرجع سابق ، ص115

المبحث الثاني:فكرة أم القرى

ألف **الكواكبي** كتابه الثاني **أم القرى** بخلاف مؤلفه طبائع الاستبداد يتميز بأنه أكثر هدوءا وأقل حدة وإذا كان أئمة ما يشير إليه أم القرى إلى موهبة **عبد الرحمان** الروائية، ولنقل موهبته في صنع الخيال في خطابه الفكري السياسي، فالكتاب نوع من سيناريو وضعه **الكواكبي** ورمى من ورائه إلى تكوين أفكار وبلورة مقترحات سعيا إلى نهضة العرب والمسلمين فاسم أم القرى عادة كان يطلق على مكة المكرمة، صور لنا عبد الرحمان من هذه الفكرة اجتماعا أو عددا من الاجتماعات عقدت من أطراف وذلك إبتداءا من 15 ذي العقدة عام 1316هـ.

"وبأسلوب قصصي شيق يحدثنا **الكواكبي** عما دار في هذه الاجتماعات وكما طرح فيها من أفكار ومقترحات، وتعتبر فكرة الاجتماعات هذه من بنات أفكار **الكواكبي**، غير أنه يقول بأن لها أصلا من الحقيقة وأن الخيال تممها".

تكون هذا الاجتماع من عدد من رجالات العرب والمسلمين، وقد حضرها ممثل من كل قطر عربي إسلامي، فهناك ممثل عن بيت المقدس وآخر من الشام وآخر مصري وإسكندري (نسبة إلى الإندرية) ويمني وبصري (إلى البصرة) ونجدي (إلى نجد) ومدني (إلى المدينة المنورة) ومكي وتونسي وفاسي وإنكليزي ورومي وركدريوتيريزي وتتري وقازاني (إلى كازاخستان) وتركي وأفغاني وهندي وسندي وصينيو فراتي وهذا الأخير أسندت إليه أعمال السكرتارية في الاجتماعات المذكورة[1].

كانت خطة **الكواكبي** من وراء هذه الاجتماعات هي الوصول إلى حلول من أجل إنقاذ المسلمين والعرب من انحطاطهم وتقليدهم عن عثرتهم فإن ثمة ثمار ثلاثة رقعت فيها ووهي

[1] سعد زغلول الكواكبي، عبد الرحمان الكواكبي السيرة الذاتية، مرجع سابق، ص 165، 166.

أولا: الكتمان لأنه أدعى إلى إفضاء كل في نفسه صراحة، ثانيا رفض أي خلاف مذهبي انطلاقا من كل هم المسلمين، ثالثا رفض منطق اليأس بسبب ما هو سائد من تخلف وانحطاط.

فالإصلاح لا يزال شيئا ممكنا إذا ما صفت النيات وتضافرت الجهود وإذا وهو الأمة ما عاد المسلمون إلى الدين الحق، الإصلاح إذن ممكن و الدليل انعقاد هذه الجمعية ثم أن هناك أمما وشعوبا عاشت مثل هذه الأوضاع التي عانى منها العرب والمسلمينلكنها استطاعت أن تعيد مجدها وتبني قوتها من جديد.وبقراءة "أم القرى" نشعر شعورا واضحا بأن هذا المؤتمر قد حدث حقيقة وكان له نجاحا كبيرا لمنظمه السيد الفراتي (نسبة إلى الفرات وهم اسم مستعار **للكواكبي**) وغالبا ما يكون للاعتقاد بحقيقة مؤتمر النهضة الإسلامية، كما أسماه هذا الأخير وإننا لننتهز الفرصة السانحة لندحض هذا الزعيم و لنؤكد أن هذا المؤتمر لا أصل له وأنه نتيجة لخيال الكواكبي "وسنوضح الدلائل التالية:

أولا : عند قراءة التقرير بعناية يدهشنا أن نلاحظ "إجماعا تاما في هذه الحقيقة من التاريخ في مؤتمر يضع 23 وفدا مسلما منتدبا أتوا من جهات ومدن مختلفة بالإضافة إلى أن الاختبار كان على عجل في مكان الاجتماع، من بين المسلمين الذين حضروا قبل الموسم بقصد الحج الذي كان موعده في الشهر التالي للاجتماع، ورغم ذلك فقد كان كل شيء معدا من قبل، حتى المذكرات الشخصية كانت قد طبعت وكذلك البرنامج وذلك لتوزيعها على أعضاء المؤتمر"[1].

وهذه الموافقة الاجتماعية تبدو في غاية الغرابة لاسيما أنها تتناول مجموعتين من الأسئلة ذات الأهمية القصوى للعالم الإسلام،.بتعيين أسباب ضعف المسلمين وتدهورهم في العالم الإسلامي،والعلاج اللازم لهذه الحالة، وخاصة إنشاء جمعية ذات صبغة ثقافية دينية، لها فروع

[1] سمير أبو حمدان، عبد الرحمان الكواكبي وفلسفة الاستبداد، الشركة العالمية للكتاب للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، دط ، 1992 م/1413هـ، ص 46،48.

في كل البلاد الإسلامية للنضال ضد هذا الوضع حتى أن الشرط الإنشائية لهذه الجمعية المزمع تحقيقها قد وضعت بدقة وتفصيل.

ثانيا : الظروف التاريخية التي كان يعيشها الشرق الإسلامي في أواخر القرن التاسع عشر تحول بيننا وبين الإعتقاد بحقيقة وجود مثل هذا المؤتمر، والواقع أنه من التعقل أن تتذكر أن سلطان القسطنطينية في ذلك الوقت **عبد الحميد** 1876-1909 ذا الطابع الدموي، المستبد والذي كان يرفض الاجتماع الذي لا يعقل،مكان حدوثه خفية.

ثالثا : إن شهادة أحد معاصري **الكواكبي**، وهو الشيخ سيد البكري تؤكد لنا أنه لم يكن سوى حلم فأولاني المؤلف السابق ذكره حيث جعل لهذا مكانا واسعا.***رابعا:***وأخيرا ربما اعترض البعض بأن **الكواكبي** أمكنه أن يتصرف بلا ضوضاء وأنه اختار مكة مكانا سريعا للاجتماع، وأن جميع المشتركين كان يشار إليهم بأسماء مستعارة أي بإكتتام وأخيرا جعل هناك اصطلاحات رمزية لاستعمالها خلال المداولات.

"وحقيقة أن رحلة **الكواكبي** عبر البلاد الإسلامية في الشرق قد استغرقت عشرة أشهر وهي فترة فليلة لتكوين مثل هذا المؤتمر وخاصة إذا كان يعمل خفية وبمفرده، ولكن فيه ما يفوق الكفاية لكي يصبح السر معلوما، فضلا عن أن المؤتمر قد استمر أربعة عشر يوما، وانعقدت خلاله ثلاثة عشر جلسة، بواقع جلسة يومية تقريبا،كما في المؤتمرات الجهارية"، ولم تتخذ هذه المؤتمرات أي احتياطات سرية خاصة[1]".

وقد طبع البرنامج من 22 نسخة في مطبعة بالمدينة التي كان يديرها تاجر هندي وإسمها مطبعة الجلاتين ، والمطبوع يذكر عن كل عضو (الاسم والنسب والمذهب والمميزات، وذلك مع أن أثنعشر من الأعضاء القادمين من بلاد بعيدة جدا اختبروا في آخر لحظة بدون ترو

[1] نوريبرتابييرو، الكواكبي المفكر الثائر، مرجع سابق، ص 60، 61.

وكانوا جميعهم يعرفون اللغة العربية رغم أنهم من مذاهب وشيع مختلفة، ويصفقون لكل التصريحات والمقترحات.

ولم يكن هؤلاء المندوبين أشخاص خياليين، كما فهمنا من كلام **السيد البكري** ولولا ذلك لاكتشف المؤتمر قبل أول جلسة بفترة كبيرة، وخاصة بالنسبة إلى مكانه في المدينة المنورة وإلى تلك الفترة من السنة.

"وما كان **الكواكبي** ليحيط هذا المؤتمر الذي يذكره في مؤلفه بجو من الخلفاء إلا ليعطيه أول الأمر طلاء من الحقيقة بسبب الدكتاتورية العثمانية، وأيضا كما يقول **البارون كارادونو** نفسه بسبب هذا الميل إلى الأمور الخفية التي كانت منتشرة في الشرق طوال الزمن ومازالت حتى أيامنا هذه".

قد تكون هذه الأدلة كافية لإثبات أن مؤتمر أم القرى لم يكن حقيقة واقعة وإنما هي صورة في مخيلة المؤلف الذي أراد بمؤلفه هذا إثبات إمكان القيام بمثل هذا المشروع فضلا عن أن فكرة المؤتمر كانت منتشرة منذ عام 1883 حيث دعا إليها السيد **الأفغاني** و الشيخ **محمد عبده**،

لكن التقرير الذي نشهر **الكواكبي** كان له دور كبير بين مسلمين مصر حتى أن **إسماعيل حامد** كتب ذلك في جريدة المؤيد في 3 نوفمبر 1908[1].

أما **عباس محمود العقاد** فيرى أن **الكواكبي**اجتهد في تأليف هذا الكتاب بحيث أنه بعث للقارئ الثقة باجتماع العزم على العمل وقيام المؤتمر، لكن روايات أصدقائه تقول أنه ألف الكتاب(أم القرى) قبل سفره إلى الحجاز ومصر، وتحدث هو لصديقه **محمد رشيد طه**

[1] عباس محمود العقاد ، عبد الرحمان الكواكبي ، مرجع سابق، ص 75.

صاحب جريدة المنار، حيث قال أن للجمعية أصلا وتوسع في سجله وعاوده أكثر من مرة بالحذف والزيادة والتنقيح.

ومن خلال تصفح أسماء المندوبين نلاحظ أن المؤلف قد إلتقى في بلده بأناس من فضلاء المسلمين الذين يترددون عليه في طريق الحج فذكرهم في مسائل الدين ومصالح المسلمين وسمع نمهم و أسمعهم ما عنده من أراء والمعلومات في هذه الشؤون، فإن لمحة عابرة لألقاب المندوبين التي اختارهم الكواكبي تشعر القارئ أنه كانت له معرفة حسنة بالأمم التي نسبهم إليها يجوزان تعرف بالسماع و الإطلاع ،ومع عناية المؤلف باستيعاب الأخبار والآراء في موضوع كتابه وقوله لصديقه أصلا توسع فيه فمثلا كان يلقب المندوبين الأستاذ المكي.

"الصاحب الهندي الفاضل الشامي المولى الرومي المجتهد التبريزي الرياضي الكردي العالم النجدي المحدث اليمين العلامة المصري الخطيبالقازاني، فهذه الألقاب تتعلق بأفراد المندوبين ولم تتميز بعضها عن بعض، ولا ينظر فيها إلى خصائص شعوبيهم أو إلى السمات العامة التي تبرزهم بين جملة المسلمين"، فإذا جاوزنا الألقاب إلى السجلات وما وعته من الآراء والأوصاف والوقائع ومناحي التفكير وضح لنا أن المؤلف قد صدر فيها عن علم واسع بأحوال الشعوب الإسلامية وأحوال السادة المتخصصين فيها للإمامة العلمية والفتوى الدينية[1].

"وغير بعيد أن يكون **الكواكبي** قد سمع بعض هذه الآراء واطلع على بعضها و وصل إليها وإلى غيرها بإطالة التأمل وإمعان النظر وتقليب المسائل على شيء الوجوه، غير أن هذه الآراء لا تحتوي الكتاب ولا تعني عنه، فإن **الكواكبي** لم يعرضها عرض الحكاية ولا عرض النقل والرواية بل كان عمله فيها عمل الغربلة والتحليل والنيابة عن المناقشة والموازنة والأخذ والرد الذي لا يتأتى في غير المجتمعات المشهودة".

[1] عباس محمود العقاد ،عبد الرحمان الكواكبي ،مرجع سابق،ص75.

طلب **الكواكبي** من المندوبين في الاجتماع الأول من المؤتمر البحث والتفكير ودراسة عشر مسائل سيتم معالجتها خلال هذا المؤتمر وهي:

1. موضع الداء
2. أعراض الداء
3. جراثيم الداء
4. ما هو الداء؟
5. ما هي وسائل استعماله؟
6. كيف يكون التدين بالإسلامية؟
7. ما هو الشرك الحقي؟
8. قانون التأسيس جمعية تعليمية
9. كيف نقاوم البدع؟

"قال**الرئيس**: أن المسلمين يعيشون في فتور طال جميع أقطار الأرض، فلم يسلم منه فرد أو بلد أو إقليم أو قرية، فما هو السبب؟ بحث المندوبين حول هذه الأسباب وعبر كلا عن رأيه فقال **الشامي** أن سبب الفتور يرجع إلى ما أصاب المسلمين من عقيدة جبرية فهذه العقيدة في القضاء والقدر على هذا النحو آلت إلى الزهد في الدنيا[1]".

والقناعة باليسير والكفاف من الرزق وإماتة المطالب النفسية كحب المجد والرياسة والإقدام على عظائم الأمور، فأصبح المسلم كميت قبل أن يموت".أما**المقدسي** فرأى أن السبب تحول نوع السياسة الإسلامية من ديمقراطية إلى استبدادية، فأفسدت العقول وأماتت الأخلاق.ورد عليه **التونسي**أنه توجد حكومات أوروبية مستبدة ولكنها متقدة.

[1] عبد الرحمان الكواكبي ، أم القرى ، مصدر سابق، ص 23.

قال **الرومي**: السبب الحقيقي هو فقدان المسلمين للحرية بجميع أنواعها: من حرية التعليم وحرية الخطابة، حرية البحث العلمي، فيفقد الحرية تفقد الآمال وتبطل الأعمال وتموت النفوس وتختل القوانين وتسأم الأمة حياتها فيستولى عليها الفتور.

"ورأى **التبريزي** أن السبب ترك المسلمين أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واسترسل الأمراء في أهوائهم وشهواتهم وعدمت المراقبة عليهم، وقال الفارسي السبب هو إهمال الناس الاهتمام بالدين حتى لم يبق له أثر إلا على أطراف الألسن، وأمراؤهم مثلهم لا يتراءون بالدين إلا بقصد تمكين سلطانهم على البسطاء من الأمة"، هذا إلى ظلمهم وجورهم، وقد كان المسلمون أعزاء يوم توثقت بينهم الرابطة الدينية فلما انحلت ضاعت الأخلاق ففتروا وخمدوا"وأجاب **المدني** بأن فقد الرابطة الدينية و الوحدة الخلقية لا يكفي سببا لهذا الفتور العام وعنده أن السبب هو تدليس رجال وغلاة المتصوفين لونوا الدين بلون سيء فأضاعوه وأضاعو أهله، وذلك أن العلماء العاملين أهل لكل تجله وإحترام فلما حسدهم من لا يستحق هذه المنزلة سلكوا مسلك الزاهدين ، ووافقه الرومي الرأي وزاده تحليل وإيضاح فقال إن داءنا الدفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الراسميين والجهال المتعممين، وبلغ أرمهم في البلاد العثمانية أن صارت الألقاب العلمية منحة رسمية تعطى للجهال حتى للأميين والأطفال[1].

"وأجاب **الكردي** أن هذا الداء خاص ببعض الولايات لكن عرض الفتور عام في الولايات الإسلامية التي فيها هذا الشأن وغيره، فلا بد أن يكون السبب شيء أعم من ذلك وعندي أن السبب هو أن المسلمينأصيبوا باقتصارهم على العلوم الدينية وإهمالهم العلوم الدنيوية، كالرياضة والطبيعة والكيمياء على حين أن هذه العلوم تمت في الغرب وترقت".

[1] أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، مرجع سابق، ص 279

وأجاب **الإسكندري** هذا ليس سببا ولكن كل السبب: لأن فقد العلوم لا يصلح لفقد الإحساس الشريف و الأخلاق العالية و السبب هو نومنا ويأسنا.

قال **التتري**: هذه شكاية حال وليست شرح لأسباب فالسبب الحقيقي وراد هذا الفتور هو فقدان القادة والزعماء، فلا أمير حازم يسوق الأمة طوعا أو كرها إلى الرشاد.

و**الأفغاني**: يرى سبب الفتور هو الفقر وهو قائد كل شيء ورائد كل فسادن، فمنه الجهل ومنه الإنحطاط الخلي، ومنه تشتت الآراء حتى في الدين.

أجاب **المسلم الإنجليزي**: إن الفقر في المملكة الإسلامية ليس طبيعيا، فهي بلاد غنية، لو نفذت تعاليم الإسلام فيها من تحصيل الزكاة والكفاءات وما إلى ذلك، فالسبب الحقيقي هو نقد الإجتماعات والمفاوضات وتبادل الآراء.

ورأى**الصيني** أن السبب هو تكبر الأمراء وميلهم للعلماء المتملقين المنافقين الذين يتصاغرون لدينهم ويتذللون لهم ويحرفون أحكام الدين ليوفقوها على أهوائهم.

"أما **النجدي**: فقال أن السبب هو الدين الحاضر نفسه بدليل التلازم ، فالدين الحاضر ليس دين السلف: إن الدين الحاضر ترك إعداد القوة بالعلم والمال والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود، وإيتاء الزكاة إلى غير ذلك مما بينه إخواننا[1] ".

وبعدها أعلن الرئيس أن البحث في أعراض الداء و أسبابه قد نضج أو كاد، فيكتفي فيه بهذا القدر ويجب أن ننقل البحث إلى موضوع آخر هو ما هو الإسلام الصحيح؟

فبدأ الكلام **العضو النجدي** فقال: إن الإيمان بالله أمر فطري في البشر، وحاجتهم إلى الرسل لإرشادهم إلى كيفية الإيمان، "ولكن إدراك التوحيد والاحتفاظ به عسير على النفس

[1] أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 282، 283

وسرعان ما يخرج منه إلى الشرك والشرك ثلاث: شرك في الذات وذلك في عقيدة الحلول وشرك في الملك كاعتقاد الناس في بعض المخلوقات المشاركة في تدبير الشؤون الكونية وشرك في الصفات بإسباغ صفات الكمال على بعض المخلوقات".

لم يرضى **الكواكبي** في المؤتمر بالاكتفاء بالبحث عن الأمراض وعلاجها بل اقترح إنشاء جمعية دائمة تعني بإصلاح المسلمين، و تشرف على تنفيذ برنامجها في الإصلاح، وهذه الجمعية تؤلف من مائة عضو: عشرة عاملين وعشرة مستشارين وثمانين فخريين، ولا عدد لأعضاء المساعدين المحتسبين واشترط في الأعضاء العاملين شروطا دقيقة: من العفة والأمانة والإخلاص وسعة العلم والقدرة على التأثير وإمكان التفرغ للعمل لأغراض المؤتمر، وجعل مركزها مكة، ولها شعب الأستانة، مصر، عدن، الشام، طهران، تفليس، كبال، كلكتا، سنغافورة وتنس، مراكش وغيرها والجمعية لا تكون تابعة لحكومة ما، ولا تتقيد بمذهب دين خاص ويكون شعارها **لا نعبد إلا الله** ، ويكون من أهم أغراضهم تعميم التعليم بين المسلمين، والترغيب في الفنون والعلوم النافعة وإيجاد المدارس الحالية بتخصيص كل منها للتوسع في فرع من فروع العلم وتوحيدالتعليم، مركز الجمعية سيكون مصر لأنها متقدمة في العلم والحرية وتسبق الأمم الإسلامية في ذلك[1].

ومن خلال هذا نستنتج أن **الكواكبي** من دعاة القومية العربية إذ يقال عنه بأنه من أبرز رواد حركة العرب القومة، ويقول عنه **سليمان موسى** وهو كاتب أردني بأنه رائد الفكر القومي في العصر الحديث،يقول **مارون عبود** في كتابه رواد النهضة الحديثة أن **الكواكبي** ربما كان موقد نار النهضة القومية العربية استطاع أن يعطي فكرة لإيحاء العربي محتوى سياسيا، ولعل أبرز تقييمات الدوري عن دور **الكواكبي** في الحركة العربية هي:

[1] أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 286، 287

1. إن **الكواكبي** أظهر أن دور العرب في التاريخ يقترن بمجد الإسلام فالعروبة والإسلام مثلا زمان عنده، لم يبدأ الانتكاس والخلل إلا بالتسلط الأغراب الأعاجم وهكذا نراه في دعوته إلى النهضة يتجه إلى العرب.
2. إن **الكواكبي** يعتبر الأمة أمه تشمل أهل الجزيرة والعراق والشام ومصر وشمال إفريقيا وهو يرى في اللغة العربية الرابطة الأولى بين العرب، وبذلك يعيد المفهوم التراثي للأمة العربية.
3. "كان للآراء الحديثة من القومية والوطنية أثر في فكر **الكواكبي**، ولكن أصوله تراثية إذ يعرض آراءه في إطار إسلامي، فالعروبة والإسلاممتلازمان عنده وتوضيحه للأسس التاريخية والفكرية لذلك، والعرب أمةيريدها وحدة تتخطى الطائفية في نطاق الوطن ونهضة تعيد لها دورها في الإسلام، بل يرى نهضة العرب بداية لإيحاء الإسلام[1]".

[1] حسن السعيد ، عبد الرحمان الكواكبي، جدلية الدين و الاستبداد ، مرجع سابق، ص 116،117.

القومية العربية حركة سياسية فكرية متعصبة تدعو إلى تمجيد العرب وإقامة دولة موحدة لهم على أساس رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ وإحلالها محل رابطة الدين،تأسست هذه الحركة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين متمثلة في حركة سرية تالف لأجلها الجمعيات

المبحث الثالث :نتائج فكر الكواكبي على الواقع العربي

"دخل العالم العربي في العقود الثلاثة الأخيرة، طور تراجع عام طال مستوياته كافة: السياسية الاجتماعيةوالاقتصادية والأمنية وقد تفاقمت معطيات ذلك التراجع على نحو لا سابق له بدا معه الوضع العربي وكأنه جانح نحو السقوط، مظاهر عديدة تشهد على ذلك التدهور والتراجع".

1- مظاهر تداعيات الهزائم العسكرية:

أمام الأعداء الخارجين في السياسات على قاعدة التسليم بتلك الهزائم كأمر واقع لا على قاعدة التخطيط لمواجهة آثارها ومحو تلك الآثار وإلى تلك التداعيات يعود تفسير ظواهر المجحفة مع العدو، وإسقاط الخيار الدفاعي، والتمسك الأعمى بالحل الأمريكي لقضايا الصراع العربيالصهيوني، إن هذا النزوع ألتفريطيالانهزامي هو الذي قاد الأمة إلى إتفاقيتي **كامب ديفيد**واتفاق**أوسلو**واتفاق**وادي عربة** واتفاقيات التطبيع مع الكيان الصهيوني، والتسليم بالاحتلال الأمريكي للعراق، والاعتراف بالمؤسسات غير الشرعية التي أقامها وفرضها على العراقيين، وترك الشعب الفلسطيني وحده يواجه القمع الصهيوني والاستيطان والتهديد، ولقد أخذ هذا المنحى السياسة العربية الرسمية إلى إسقاط التزاماتها القومية كاملة والتشرنق على فكرة السلام مع حسبانه خيارا إستراتيجيا وحيدا لكن الأمة تمكنت من تحقيق انتصارات لافتة، منها إفشال المشروع الصهيوني في لبنان في أعقاب إحتلاله[1].

وإنتفاضة الحجارة الفلسطينية في نهاية ثمانينات القرن الماضي، وتمكن المقاومة اللبنانية من طرد بقايا القوات الصهيونية عام 2000 من الشريط الجنوبي منذ 1978 وإجبار المقاومة

[1] المشروع النهضوي العربي ،مجهول المؤلف ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1 فبراير 2010 ، ط2 أغسطس 2011، ص 20.

الفلسطينية الحكومة الإسرائيلية على إخلاء قطاع غزة وتفكيك مستوطناتها في 2005، وإلحاق المقاومة اللبنانية للمرة الثانية هزيمة نكراء للكيان الصهيوني إبان عدوانه على لبنان في 2006 وتمكن المقاومة العراقية من تعويق المشروع الأمريكي في العراق والمنطقة بل وتغيير المعادلة السياسية في الساحة الأمريكية، وإجبار المحتل على وضع جدول زمني للانسحاب من العراق.

"وإذا كانت هذه الإنجازات كافة لا تعني أن قوى المقاومة الحية في الأمة مازالت قادرة على صد موجات التراجع فإنه من الضروري الاعتراف بأن تخلي النظام العربي الرسمي عنها تماما وتورطه في مواقف سياسية تعزز التراجع ولا تصده".

2- مظهر التدهور المروع في معدلات النمو الناجم عن الفساد السياسات الاقتصادية الرسمية وعن الانتقال من الاقتصاد الموجه إلى الاقتصاد الحر بدون ضوابط: وما استتبعه ونجم عنه من بيع ممتلكات الدول والشعب إلى أفراد خرج أكثرهم من رحم بعض فساد القطاع العام والنهب المنظم للثروة وللمالية العامة والناتج ثانيا عن سياسات الاستدانة وتبعاتها الخطيرة عن مالية الدولة، والانصراف المتزايد عن القطاعات الإنتاجية إلى قطاع التجارة والخدمات ومجمل أشكال الاقتصاد الطفيلي، ثالثا الناتج عن الرابعن سوء التدبير للفجوة المتزايدة بين الموارد والسكانوسوء تدبير المال العام، والإنفاق على برامج التنمية وهدر الموارد وسوء التدبير البرامج الأسرية[1].

"وكان لهذا التدهور المروع كلفته الاجتماعية كبيرة كالبطالة المتزايدة، التهميش الاجتماعي، الفقر المتفاقم، تدهور الطبقة الوسطى في المجتمع، إفراغ الأرياف من سكانيها والمدن، ثم ما تولد عن ذلك من ظواهر كالعنف الاجتماعي، والسياسي وأيضا تحلل منظومة القيم، وتفكك الأسرة مع خراب النظام التعليمي".

[1] المشروع النهضوي العربي ،مجهول المؤلف،مرجع سابق ،ص21.

مما أدى إلى انهيار الأمن الغذائي والاقتصادي في العالم العربي نتيجة زحف فشمل قطاعات كثيرة من السكان، وازدادت الفوارق الطبقية بشكل فاحش وخيف، وارتفعت درجة الاحتقانالاجتماعي الداخلي وباتت البلاد العربية مرفقا لأنواع من التناقضات والصراع الاجتماعي، تهدد بزعزعة استقرارها وتعرضها للخطر

3- مظهر تزايد وثائرالاستبداد والتسلط في النظم السياسية العربية:

إذ تعاني الحياة السياسية العربية اليوم انسدادا خطير قادت إليه سياسيات التسلط، واحتكار السياسة والسلطة من قبل نخبة ضيقة أو عائلة،أو طائفة، أو حرب حاكم وتهميش سائر التعبيرات السياسية الأخرى، وإطلاق قوى الأمن والإتخبارات في الشؤون العامة، وانتهاك القانون والدستور . وتزوير إرادة الشعب في الانتخابات وخرق استقلالية القضاء وإخضاعه للسلطة التنفيذية، وتكميم الصحافة بتسليط سيف الرقابة عليها، واحتكار الإعلام السمعي-البصري، وفرض أحكام الطوارئ والقوانين الاستثنائية، وإنشاء المحاكم غير قانونية لمحاكمة سجناء الرأي وتجريد المعتقلين من حقوق الدفاع ومن الضمانات القانونية والدستورية للمحاكمة العادلة، والتضييق على حرية البحث العلمي وانتهاك الحقوق الدنية كالحق في السفر والتنقل، وحرمان المرأة من حقوقها الطبيعية بالإضافة إلى تجاهل مطالب المجتمع والمنظمات المدنية والمعارضة ومواجهتها بقسوة[1].

حتى تحولت الأزمة بالنظام السياسيللدولة العربية إلى اعتبار الدولة جزء من أملاك الحاكم، على نحو ما تعبر عن سياسة التوريث وتحويل الجمهوريات إلى ملكيات جديدة مطلقة. لماذا وصل العرب إلى هذا التدهور؟ الجواب هو غياب مشروع عربي نهضوي معاصر يتطلع لإنجاز حلقات التوحيد القومي والتنمية والاستقلال والتقدم ، فاين يوجد هذا المشروع؟

[1] المشروع النهضوي العربي، مجهول المؤلف ،مركز دراسات الوحدة العربية، مرجع سابق، ص 23.

"كانت البداية مع **محمد علي باشا** وتجربة الإصلاحية المتأثرة بفرنسا، ثم توالت الإصلاحات من بعده مع **إبراهيم باشا** في مصر **أحمد الباي** في تونس و**محمد الرابع** و **الحسنالأول** في المغرب، دعوا هؤلاء إلى تحديث الجيش وتطوير هيكلة النظام، الإصلاح المالي والجبائي، الإصلاح الإداري، تطوير النظم التعليمية وإصلاح نظام العلوم الدينية في جامعات الأزهر، الزيتونة والقرويين".كان للمشروع النهضوي وجه فكري رافق المشروع السياسي وأسس له شرعيته وهو كناية عن التراث الفكري الإصلاحي الإسلامي والتراث التنويري الحداثي في القرن التاسع عشر، التراث التي دارت موضوعاته حول الترقي والتمدن والإصلاح والحرية، وساهم في صوغ نصوصه الكبرى مفكرون كثر من التيارين الإسلامي والليبرالي أمثال **خير الدين التونسي محمد عبد الله النديم، أحمد فارس الشدياق، أديب إسحق، فرح أنطون وعبد الرحمان الكواكبي**"

هذا ما جعل الكاتب **نادر كاظم** يتساءل في كتابه **إنقاذ الأمل** عن الوقت الراهن للعالم العربي وما دعا إليه **عبد الرحمان الكواكبي** قائلا: هل نحن أمام عودة جديدة إلى **الكواكبي**؟ ثم يجيب بنعم ولا في نفس الوقت نعم لأن هذا الجيل بدا كما لو أنه يستذكر **الكواكبي** في كل مناسبة ويستعير منه لغته وتشخيصه وهو يضع يده على أصل الداء في هذه الأمة والمتمثل في الاستبداد[1].

إذ كتب **سعد الدين إبراهيم** وهو يتذكر **الكواكبي** أنه إذا أردنا أن نجمع عوامل الضعف والاهتراء في الأمة العربية فلا بد من أن يكون العنوان الأنسب هو الإستبداد بالسلطة والثروة وبضاعة القرار لذلك يعد الإستبداد هو العدو الأكبر للعرب ويضيف أن إذا استمر هذا

[1] المشروع النهضوي العربي، مجهول المؤلف ،مركز دراسات الوحدة العربية، مرجع سابق، ص22.

الاستبداد في عالمنا العربي سنظل نعيش فيزقاق التاريخ الإنساني بينما يتقدم الآخرون على الطريق السريع المفتوح نحو التقود الإنساني، ولا يوجد مخرجا سوى القضاء على الإستبداد.

وفي سياق ربط المشروع الديمقراطي بالمجتمع المدني العربي وجد **الطاهر لبيب** نفسه مضطرا للعودة إلى **عبد الرحمان الكواكبي** فقد افترض أن إنجاز المشروع الديمقراطي يتطلب تحفيز "صياغة مطلب الحرية الذي من دونه لا يتسع مجتمع مدني أساس ديمقراطي، وما يعيق تحفز هذه الصياغة أو حاجة هو هيمنة ما يسميه تراديغم الطاعة" المتمكن قس المجتمع العربي الإسلامي من جهة وتراكم الاستبداد في العقول والنفوس داخل هذا المجتمع من جهة أخرى وهنا لامناص أمام الباحث من التوسل إلى **الكواكبي** الذي كشف أن ثمة الاستبداد طبائع متمكنة في المجتمع العربي ونابعة من لألفة الاستبداد التي جعلت المجتمع يتعايش، معه ويرضى به ولا ينشد الحرية و التحرر من أغلاله.

ثم يخلص **طاهر لبيب** إلى أنه ليس هناك وصفة جاهزة ومعيارية للديمقراطية، ولكن الديمقراطية كحرية لا تكون كذلك إلا بخروجها عن طاعتين: الطاعة التي تركها السلف واستفاد من التاريخ العربي في مراكمة استبداده، والطاعة التي رفضها الأجنبي واستفاد منها تاريخه في مراكمة استغلاله[1].

يقول **سلام الكواكبي** في مقاله **لأوس يعقوب** بعنوان **عبد الرحمان الكواكبي** في اللغة الفرنسية مجلية الجديد بعد ترجمة لكتاب جده طبائعالاستبداد ومصارع الاستعباد للغة الفرنسية، بأنه إسم **عبد الرحمان الكواكبي** أعيد للتداول سياسيا بعد إقتصار ذكره على الجانب التاريخي والتراثي، عبر مجموعات شبانية سلمية للحوار في بداية ما يسمى بربيع مشوه.

[1] نادر كاظم، إنقاذ الأمل الطريق الطويل أمام الربيع العربي، مسعى للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص185

"أثار العالم العربي بعد تراكم جبال من معاناته وقهره وإستبداده من قبل الحكام المستبدين وكانت الشرارة الأولى من تونس بتوقيع **محمد بوعزيزي** الذي أحرق نفسه نتيجة ضيق العيش والمعاناة المستمرة فاندلع الشعب التونسي للخروج في ثورة ضد **زين العابدين بن علي**، أو ما عرف بثورات الربيع العربي".

أول من استعمل هذا المصطلح "ربيع عربي" هو الباحث والأكاديمي **مارك لينش** بمقاله في مجلة سياسية خارجيةForeignPolicy بتاريخ لافت جدا هو كانون الثاني من عام 2011 بعد مرور أقل من أسبوع على بداية شرارة الاحتجاجات بتونس، كان العنوان بـ**الربيع العربي الأوبامي**وهو عنوان لافت أيضا في دلالاته وتحليله الإستشراقي، وقد ربط **مرك لينش** بين الربيع العربي وأحداث عام 2005 التي بدأت مع تصاعد التجمعات والتظاهرات التي قامت بها حركة 14 آذار اللبنانية لإسقاط النظام السوري في عهد **جورج بوش** ونقلت على أجهزة التلفاز.وأطلقت الإدارة الأمريكية على لسان الرئيس **باراك أوباما** ووزيرة الخارجية السابقة **هيلاري كلينتون** وكبار مستشاريالبيت الأبيض مفردة وكلمة "العمليات الانتقالية" لـ "الربيع العربي" بدلا من الثورات العربية[1].

عبر البروفيسور **جوزيف ناي** منظر القوة الناعمة ومستشار **أوباما** للشؤون الدولية في مقابلة مع "المجلة" السعودية بالقول "هناك عمليات مفتوحة متعددة المراحل، قد تستمر لعقد من الزمن، الهدف منها إحلال الديمقراطية وتعميم الإصلاح السياسي في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا والعملية ستستمر، لكن قد تنتشر الثورات الليبرالية دون أن تسفر عن تحقيق الديمقراطية في نهاية المطاف" وأطلق البروفيسور **دانيال برومبيرغ** رئيس معهد السلام الأمريكي وهو من وضع آخرون الربيع العربي عام 2010 مصطلح "عمليات التحول الديمقراطي".

[1] نادر كاظم، إنقاذ الأمل الطريق الطويل أمام الربيع العربي، رجع سابق، ص 187.

ورد السفير الأمريكي **ويليامتايلور** رئيس مكتب "الربيع العربي" ومبعوث الخارجية الأمريكية لتحولات الشرق الأوسط على سؤال صحفي حول سبب تعيينه في هذا المنصب قائلا "تم تعييني في منصبي بعدما تأكدت الإدارة الأمريكية بعد نجاح التحولات العربية في مصر وتونس وليبيا، والعملية ستستغرق من عشرة إلى عشرين عاما.

"هل يمكن أن تتأمل القاعدة الأولى التي أوجبها **الكواكبي** لرفع الإستبداد (الأمة التي لا يشعر كلها أو أكثرها بآلام الاستبداد لا تستحق الحرية) على أنها المدخل إلمقارنة نقدية محرجة بل لاذعة للشعوب العربية التي لم تشعر كفاية بآلامه بما فيه الكفاية في العقود الماضية والتي لم تعد ترضى الذل ابتداء من 2011 لكنها ارتضته فعلا قبل ذلك ولعقود مريرة وطويلة".

فهل كانت الشعوب لا تستحق الحرية طيلة العقود الماضية، ثم أخذت تستحقها عندما أخذت تشعر كلها أو أكثرها بآلام الاستبداد؟ أم أننا مازلنا في حالة الأمة التي تستحق الحرية أي الأمة التي قدما الاستبداد على صورته ومثاله، والتي يعرضها **الكواكبي** بأنها الأمة الميتة[1].
لكن الأمة بدأت بالإستيقاذ من سباتها وشعرت بالإستبداد، كانت البداية كما سبق لنا أن ذكرنا من تونس، كان رئيسها **زين العابدين بن علي** خلاف لرئيسها الأسبق **الحبيب بورقيبة** الذي تولى الرئاسة بعد استقلال تونس في 20 مارس 1956 ومع هذا يكون **بورقيبة** أول رئيسا للدولة التونسية حيث قادها لثلاثة عقود إعتمد خلالها النهج العلماني في الحكم.

"أما عن نظام الحكم في عقد **زين العابدين** كان استبداديا يتستر تحت طلاء من التعددية، كما أنه قيد حرية التعبير وزج بالمعارضين في السجون، كما أنه واجه فترة حكمه الـ23 انتقادات واسعة من الداخل والخارج بسبب نسبة التصويت التي كان يتحصل عليها في الانتخابات والمقدرة بـ9،99% وبالإضافة إلتعديله في الدستور بإطالة حكمه إلى ولايتين إضافيتين".

---

[1] حسن محمد الزين، الربيع العربي، دار القلم الجديد، بيروت لبنان، ط1، 1334 هـ، 2013م، ص57،

فاز بعدها الرئيس التونسي **بن علي** بدورة رئاسية خامسة في أكتوبر 2009، وفي يوم الجمعة 18 ديسمبر قام الشاب التونسي **محمد بوعزيزي** بإشعال النار في جسده في وسط مدينة بوزيدااحتجاجا على مصادرة السلطات البلدية في المدينة لعربة كان يبيع عليها الخضر والفواكه، وفي اليوم الموالي اندلعت شرارة المظاهرات الشعبية، خارج من خلالها آلاف التونسيين الرافضين كما اعتبروه أوضاع البطالة، وعدم وجود عدالة اجتماعيةوانعدام التوازن في التنمية بين مناطق البلاد المختلفة وتفاقم الفساد داخل النظام الحاكم.

تحولت هذه المظاهرات إلى انتفاضة شعبية عارمة شملت عدة مدن تونسية وأدت إلى سقوط العديد من القتلى والجرحى من المتظاهرين جراء تصادمهم مع قوات الأمن ومما زاد الأحداث وفاة **بوعزيزي** في الرابع من شهر يناير 2011 بسبب مضاعفات الحروق[1].

أجبرت الانتفاضة الرئيس **بن علي** على إقالة عدد من الوزراء، من بينهم وزير الداخلية و تقديم وعود لمعالجة المشاكل التي نادى بها المتظاهرون، كما أعلن عزمه على عدم الترشح لانتخابات الرئاسية عام 2014[2].

حاول الرئيس **زين العابدين** تهدئة الأوضاع من خلال خطابات كان يقدم من خلاله تنازلات كثيرة لكنه هرب بعد هذا إلى السعودية في يوم الجمعة 14 يناير، وتولى **محمد فؤاد** منصب الرئيس"وفي 13 حزيران أصدرت محكمة عسكرية تونسية حكما غيابيا بالسجن المؤبد على الرئيس المخلوع **زين العابدين بن علي** بتهمة قتل المتظاهرين خلال القمع الدامي في مدينتي قاله والقصرين وفي كانون الثاني 2011 حكمت عليه المحكمة عسكرية أخرى بالبحث عشرين

[1] وسام سعادة الربيع العربي والفكر العربي، مجلة كلمن، العدد 5 شتاء 2012، بيروت

[2] محمد صفوت قابل، اقتصاديات الربيع، الطبعة الأولى، 1433هـ- 2012م، ص10

عاما بتهمة التحريض على الفوضى والقتل والنهب على الأراضي التونسية وعلى أثر الحركة الاحتجاجية في الشارع منذ كانون الأول 2010"[1].

"كما أصدرت تونس 50 مذكرة جلب دولية ضد الرئيس المخلوع **زين العابدين** منذ هروبه إلى السعودية مع وزير العدل التونسي **نور الدين البحيري** وبعدها فاز **الباجي قائد السبسي**بانتخابات الرئاسة التي جرت في 21 ديسمبر 2014".

أما مصر فقد نادى شعبها عبر المواقع الاجتماعية لإقامة ثورة، فلبى آلاف المحتجين الدعوة، كان يوم لثلاثاء 25 يناير 2011 هو يوم الغضب، شملت المظاهرات بالإضافة إلى القاهرة مدينة دمياط، أسيوط المحلة الكبرى، الإسكندرية، المنصورة، السويس، الإسماعيلية وطنطا[2]

قتل خلالها ثلاثة من المتظاهرين في مدينة السويس، وعشرات المصابين بالإضافة إلى مئات المعتقلينوفي اليوم الموالي بدأ الشعب بمطالبة الرئيس **حسني مبارك** بالرحيل من خلال مظاهرات أقيمت بميدان التحرير، كان هدف هذه الاحتجاجات هو تحقيق العدالة الاجتماعية والعيش الكريم والكرامة الإنسانية للمواطن المصري والتي مثلت نموذجا فريدا لوحدة الصف الوطني في مواجهة حكم الإقصاء والتسلط الذي مارسه نظام **مبارك** الأكثر من ثلاثين عاما إلا أنه لم تتحقق أهداف الثوار بتحقيق أمالهم وطموحاتهم بسبب ممارسات المجلس العسكري الذي استحوذ على مقاليد الأمور بعد أن حصل على الثقة الكافية من فضائل سياسية مختلفة[3].

تنحي الرئيس **حسني مبارك** عن منصبه بعد عدم محاولاته لإصلاح الأوضاع وأقيم في المنفى وحكم عليه بالسجن مدى الحياة بتهم التورط في مقتل 846 متظاهرا، ونظرا لأوضاه الصحية

---

[1] جمال نصار، مستقبل الديمقراطية في بلدان العربي حالة(تونس ومصر)، مركز الجزيرة للدراسات، 13 مايو- أيار 2014-ص5.

[2] صلاح جودا شبر ، ثورات الربيع العربي، دار وافد، دط، ص317

[3] جمال نصار، مستقبل الديمقراطية في بلدان العربي حالة(تونس ومصر)، مرجع سابق، ص6

أعتقل في المستشفى العسكري وخلفه الرئيس الإسلامي **محمد مرسي** في حزيران 2012، الذي كان أول رئيس ينتخب في تعددية وأطاح الجيش **بمرسي** بعد عام من الحكم تخللته أزمات وانشقاق سياسي، وتولى الحكم فيما بعد **عبد الفتاح السيسي**.

"أما سورية فتشهد هي أيضا منذ آذار واحدا من أخطر التحديات في تاريخها الحديث، يشتمل هذا التحدي في أزمة إجتماعية وسياسية على المستويين الداخلي والخارجي بيد أن الحراك من قيمة الحرية، التي تشكل مطلب لمعظمالأطراف على مختلف أشكالهم وتجلياتهم، والتزام بهذه القيمة على طول الخط، وقد تحولت الحرية لتصبح تعبيرا عن جوهر الأزمة، المتمثلة بالحرمان من الحريات السياسية وغياب مؤسسات تمثيلية كفوءة وشفافة[1]."

بدأت الأزمة في سوريا من انتفاضة شعبية محلية وتحولت إلى نزاع شامل تعدد فيه اللاعبون على الأرض وداخل البلاد وخارجها، إلى حد صعب فيه متابعة هذه الأزمة لأن هناك قوات نظام تقف ضد عدة فصائل مسلحة متعددة الاتجاهات غالبيتها إسلامية بعضها جهادية تكاد تكون كلها مدعومة من قبل أطراف خارجية، ويستغل تنظيم الدولة الإسلامية هذه الانقسامات في أوساط المعارضة التي تثبت وجودها على مساحات شاسعة من البلاد[2].

الأحداث والتطورات الخارجية في الدولة العربية اليوم والثورات التي أقيمت في تونس مصر، ليبيا وسوريا واليمن والبحرين كان هدفها التغيير والإصلاح على جميع الأصعدة ولاسيما التغيير السياسي ولكن الحقيقة مخالفة نوعا ما لما كان متوقع لدى الشعوب، فما جرى في العالم العربي من ثورات ومطالبة بالحقوق والإصلاح السياسي، هي من أهم ظاهرة سياسية عرفها العرب

---

[1] ربيع نصرو وآخرون، الأزمة السورية الجديد والآثار والاجتماعية، ترد عاطف قرص وآخرون، المركز السوري لبحوث السياسات، دط،2013 ، ص14

[2] محمد علي المحمود، الواقع السوري أفاق المتبل، جريدة الرياض، العدد 22،17286 أكتوبر 2015م- الخميس 9 محرم1437.

منذ الاستقلال الأول للعديد من الدول والشعوب العربية فالاستقلالالأول للعرب كان عنوانه العريض هو التخلص من الاستعمار الذي جثم على صدر الشعوب العربية ونهب خيرات وتحكم بمصائرها حقبا طويلة.

"أما الاستقلال الثاني الذي دشنته الثورة التونسية فعنوانها العريض هو التخلص من الاستبداد السياسي وديمقراطية الحياة العربية، فالمجتمعات العربية اليوم في ظل كل هذه التحديات تحتاج إلى التسامح لأجل ضمان استقرارها ومجابهة تحدياتها والتغلب على مشاكلها فالتسامح يعزز الاستقرار السياسي والاجتماعي المبني على العدالة وحتى الثقافي"[1]

[1] محمد محفوظ، ربيع العرب وقراءة في التحولات العربية وتأثيرها على التسامح، 2012/04/27م، مركز آفاق للدراسات والبحوث.

المبحث الرابع :نقد

يتساءل **الجابري** في كتابه **الخطاب العربي المعاصر** عن الواقع العربي الراهن من منظور القرن الماضي الأخير، من زاوية ما كان على العرب فعله ثم يطرح عدة تساؤلات: هل تمكن العرب فعلا من تحقيق نهضتهم؟ هل يعيشون اليوم في الواقع ما عاشوه منذ مائة عام في الحلم؟ هل حققوا من التقدم ما يكفي ليجعل مشروع النهضة ذاك يتحول فعلا إلى مشروع الثورة؟ "بل إن الواقع الكئيب الذي افتتح به العربثمانينات هذا القرن ليطرح بجد مسالة ما إذا كان العرب يتقدمون بخطوات سريعة أو بطيئة إلى الأمام، أم أنها بالعكس من ذلك، يغالبون بدون أمل الخطى التي تنزلق بهم إلى الوراء؟"

إنه مهما تنوعت الآراء واختلفتالاتجاهات فإن أحدا منا، نحن العرب المعاصرين لن يجادل في مشروعه طرح مثل هذه الأسئلة وفي هذا بالذات ودون أن نستخلص من هذه الأسئلة أو من المعطيات التي تستحقها على طرحها، نتائج قد تكون أكبر مما ينبغي فإن الواقع اليومي الذي يفرض نفسه في الظروف الراهنة يجعلها تشعر بأننا لم ننجز نهضتها كاملة.

فإن الرواد الذين تحققت فيهم وبواسطتهم اليقظة العربية الحديثة، قد تصوروا النهضة تصورا صحيحا على الأقل من الناحية الشمولية: فعلاوة على ربطهم إياها بالتحرر من سيطرة الأجنبي وبالوحدة القومية وبالتقدم الاقتصادي وبالتحرر الاجتماعي والسياسي....، فلقد رأوا في النهضة الفكرية لا مجرد مظهر من مظاهر النهضة المنشودة، بل أيضا الشرط الأساسي والضروري لتحقيقهافالنهضةالفكرية حتى نفسها كأولى الأولويات في مشروع النهضة الذي كان العرب يطمحون إلى تحقيقه[1].

[1] محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، بيروت – لبنان، ط1-1982، ص8-11.

بل يمكن القول إجمالا إن هناك بالفعل أولوية نسبية للفكر على العمل في كل مشروع للنهضة أو برنامج للثورة، ومن دون شك فلقد أدرك روادا اليقظة العربية الحديثة هذه الأولوية بل لعل كثيرا منهم قد أدركوا أيضا على طريقتهم الخاصة ونسبتها، لقد نادوا جميعا بإعداد الفكر القادر على حمل رسالة النهضة وإنجازها، فألحوا على نشر المعرفة وتعميم التعليم وحمل الناس على تحكيم العقل بدل الاستسلام لـ المكتوب أو الإذعان للخرافة،ولكنه ولعل هذه هي نقطة الضعف الأساسية والخطيرة في مشروع النهضة العربية الحديثة، لم يدركوا أو لم يعوا أن سلاح النقد يجب أن يسبقه ويرادفه نقد السلاح لقد أغفلوا نقد العقل، فرحوا يتصورون النهضة ويخططون لها، بل ويناضلون من أجلها إما بعقود أعدت للماضي وإما بمفاهيم أنتجها حاضر غير حاضرهم.

"إن غياب نقد العقل في المشروع الذي بشر به رجال الجيل السابق قد جعله يبقي مشدودا إلى ما قيل على الرغم من كل الأهداف والمطامح التي غازلها أو ألح في تبنيها،امتداد لنفس المشروع السابق، مشروع النهضة التي لم تتحققفهل يمكن بناء نهضة بدون عقل ناهض؟هذا هو السؤال الذي سؤال آخر وجيه لماذا تقدم الغرب وتأخر العرب"؟

وهكذا حاول الفكر العري الإسلامي المعاصر أن يجعل من فكرة النهوض بالعقل العربي والعقل الإسلامي مهمته الأساسية في إطار تحديث آليات التفكير ومناهجه ومختلف استراتيجياته من أجل عقل حداثي تنويري يتجاوز كل الكبوات التي سقط فيها الفكر من قبل وهو يحاول على منوال الفكر الإنساني عامة، البحث عما يحقق للإنسان العربي والإسلامي هويته الثقافية والفكرية والسياسية والأخلاقية والتاريخية وعما يحقق وكرامته الإنسانية ويؤمن له الاستقرار والأمن والسلام في مواجهة مختلف التحديات المعاصر[1].

[1] محمد عابد الجابري، في نقد الحاجة إلى الإصلاح، مركز دراسات الوحدة العربية، دط، 2005، ص102.

لذلك كتب **الجابري** في كتابه تكوين العقل العربي أن نقد العقل جزء أساسي وأولي في كل مشروع للنهضة ومن هذا المنطلق جعلنا العقل غايتنا من خلال البحث عن مكامن الضعف والخلل فيه إنطلاقا من مكوناته وبنياتهوممارساته في أفق الرقي بالعقل العربي إلى عقل الحداثة.

هكذا وجد الإنسان نفسه يتخبط في مشكلات عديدة وأزمات شائكة ومعارك هائلة، قادته إلى الدخول في مدارك البحث عن حلول لها، سواء عن طريقة مقارعة أسباب التقدم والنهضة في الغرب والاقتباس منها حينا، أو عن طريق العودة إلى أصول الثقافة العربية والإسلامية عبر التاريخ حين آخر.

فلا يمكن تحقيق النهضة من خلال الاعتماد على الماضي وحده واختيار ما يصلح منه ومن الخطأ الجسيم كذلك الاعتقاد أن هذه الذات يمكن أن تنهض بالتخلي الكلي عن ماضيها والإعراض عنه والانضمام إلى تراث غير تراثها أو الارتماء في حاضر يتقدمها بمسافات شاسعة.

فالإنسان لا يملك أن يبدع إلا داخل ثقافته وتراثه والإبداع بمعنى التجديد الأصيل لا يقوم إلى على أنقاض قديم تم احتوائه وتمثله وتجاوزه بأدوات فكرية معاصرة تتجدد بتجدد العلم وتتقدم بتقدمه.

"فالدعوة إلى تدشين عصر جديد هي دعوة إلى تدشين منطق نهضوي غير منحاز إلى نموذج معين، بل ينطق من نقد النماذج كلها وهذا ما قام به الجابري في قراءة العقل السياسي العربي، إذ فكر من خلال مرجعيتين:

مرجعية إسلامية تتمثل في تأثير كل من العقيدة والقبيلة والغنيمة، مستعينا بمصطلحات غربية معاصرة[1]".

[1] حسين الإدريسي، محمد عابد الجابري ومشروع نقد العقل العربي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإنساني، بيروت، ط1، 2010،

ولمعرفة حقيقة هذا الفكر يجب تتبع تاريخه أي الرجوع إلى ماضيه واستخلاص العبر منه وهو العمل الذي يمكننا من معرفة أصول الاستبداد والكشف عن مرتكزاته الإيديولوجية والاجتماعية واللاهوتية والفلسفية، وإذ تتحقق لنا في ذلك أمكننا إيجاد تبريرا لهذا الاتجاه السياسي وذاك باعتبارهامتدادا لأصوله الماضية التي تم الكشف عنها.

"لقد جاءت قراءة الجابري لتاريخ الفكر السياسي العربي بعده نتائج أهمها: أن هذا الفكر يتشكل من ثلاث محددات لها علاقة بالسياسة وهي عبارة عن مفاتيح تساعد على قراءة التاريخ السياسي العربي الإسلامي قراءة موضوعية فعالة".

أولها العقيدة التي يرى الجابري أنه لا يقصد بها المضمون الديني أو الإيديولوجي بل معناها الحقيقي هو مدى أثرها على صعيد التمذهب والاعتقاد، وثانيها هي القبيلة التي لها أثر كبير في صنع الأحداث الجابري كل القرابات وليست قرابة الدم فقط وهذه القرابة والانتماء يولد تمييزا في المجال السياسي من خلال علاقة الأنا بالآخر، والقبيلة هي مجموعة الروابط الاجتماعية التي تساهم في تحديد السلطة والحاكم وبذلك تكون قد حددت السياسة فهي ترمز إلى الأهل والعشيرة والتعصب للجنس، الوطن، الثقافة أو التاريخوثالثهما:الغنيمةويقصد بها الجابري تأثير العامل الاقتصادي الناتج عن الخراج أو الربع، ويقصد من خلالها تأثيرهما على النشاط الاجتماعي والسياسي وأيضا كيفية صرفهما لأن هذا يؤثر على سير الأحداث السياسية، ولكل واحدة منهم تأثيرا على الواقع العربي، فالأولى توزع روح التعصب والتطرف، سواء للرأي أو الدين أو الحزب.....، والثانية تأثر برفع روح مبدأ ذوي القرابة، أما تأثير الثالثة فهو متمثل في اعتماداقتصاد الدولة على مجرد الاستهلاك من خلال الاكتفاءباستغلال الثروات الطبيعية[1].

[1] محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت- لبنان، 1995، ص5

" الدوافع الثلاث حكمت العقل السياسي العربي طوال تاريخه فكل ما تشهده الساحة العربية حاليا يرجع إلى أحد هذه المؤثرات، أرتبط هاجس **الجابري** بنهوض الأمة العربية وتغيير الواقع، وإستمرالانشغال بهذا الهاجس الذي نقله من نقد العقل المعرفي إلى نقد العقل السياسي و نقد العقل الأخلاقي، فمشروع نقد العقل العربي عنده ليس مجرد تاريخ لتكوين العقل العربي بل هو مشروع لإنهاض هذا العقل "فنحن لانمارس النقد من أجل النقد بل مما هو ميت أو متخشب في كيانها العقلي أو إرثنا الثقافي[1].

[1] محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت- لبنان، 1995، ص53

خـــــاتمة

تبقى قضية التقدم والتخلف شائكة من حيث الأسباب والدوافع والإمكانيات ولكن عالمنا العربي لا يزال يعاني من وطأة الصراعات السياسية، مقارنة بدول أخرى إستطاعت أن تنهضمن كبوتها وأصبحت تنافس الدول المتقدمة، بعد أن كانت لاشيء بمقياس الحضارة والتقنية، فدول جنوب آسيا إنتفضت، واليابان تغلبت على توابع قنبلتين نوويتين والبرازيل قلبت المعادلة في غضون سنوات، وكوبا إستطاعت محو أميتها ودول أخرى قاومت عجز إمكانياتها وإعتمدت على نفسها رغم أنها بمقاييس الثروة فقيرة جدا.

وهذا ما أراده **الكواكبي** لأمتنا العربية أن تتجاوز كل معوقاتها وتحقق النهضة وتتقدم لتحقيق ذاتها، فالكواكبي ممن دافعوا عن الحرية بحث كرس كتاباته لنقد الإستبدادوأدبياته وتفكيك ظواهره والحد من تأثيراته، وخاض في كتاباته دورا تنويرا لتحرير الدين من السياسة وقطع الحبل السري بين الفقيه والسلطان، عبر تصفية الدور النفعي والإيديولوجي الذي يلعبه الدين في مواقعه الدفاعية والتبريرية وتخليصه من صراعات السلطة والحزبية وفض النزاع الملتبس بينهما وعلق دوائر العنف باسم الدين والتكفير، فكانت كتاباته الصحافية التي إنطلق في نشرها من جريدة الفرات الحلبية تعنبنقد الولاة والسلاطين والحكام وفضح فسادهم وإستبدادهم وظلمهم منحازا للفئةالمغلوبةوالمستضعفين ثم لاحقته المصادرة وأغلقت منابره الصحافية، فلم تتحمل الخلافة العثمانية كتاباتهما النقدية وأفكاره النهضوية آنذاك، بالإضافة إلى تصديه للتخلف والجهل والتحريض الناس على التفكير والمقاومة ضد الخرافات التي تتخذ من الدين حجة لخدمة الحكم المطلق ولا تسفر عن التقدم والنهضة العربية التي كان يدعو إليها، حيث كان يطالب بخلافة عربية تقوم على أنقاض الخلافة العثمانية والثورة على الأتراك.

أبو الضعفاء هو اللقب الذي حازه**الكواكبي** عندما إشتغل في المحاماة منذ تجمد صحيفتاه، درس الحقوق وسعى من خلال دوره الجديد أن يواصل جانبا من نشاطه السابق في الحصول على حقوق المظلومين والدفاع عنهم ضد السلطة.

تشير جملة أفكاره التي طرحها إلى راهنيتها في الواقع، حيث مازالت المجتمعات العربية التي ترزح تحت وطأتها وتعاني نفس العوامل المؤيدة للتخلف والجهل والقمع والاستبداد وهو ما يشكل

انسدادا تاريخيا يعوقها عن تجاوز محنتها التاريخية منذ أن بدأت تطرح التساؤل التقليدي عن أسباب تقدم الغرب وتخلف العرب وفي أفكاره التي تركها يؤكدان الاستبداد هو نقيض السياسية، و يؤكد مبادئ الشورى الدستورية التي تقيد الحاكم ولا تجعله يحكم الهوى من دون معارضة وحساب واعتبرالاستبداد هو الشؤون المشتركة بمقتضى الحكمة وبذلك كان تأكيده الملح على فرض ما أسماه بالشورية الدستورية والحياة الدستورية التي تخرج العرب من التردي المجتمعي والأفول التاريخي الذي يهيمن على واقعهم.

ويعتبر **الكواكبي** من أوائل الداعين إلى القومية العربية وضرورة قيام الوحدة بين الأقطار العربية لمواجهة أعداء الأمة وخاصة الأتراك الذين نشروا الفساد في الأقطار العربية لأنه كان يرى في العرب من الخصال والفضائل ما ليس في غيرهم، وكان يراهم أول الناس بقيادة أمة الإسلام لتحريرها من نير المستعمر المستبد.

هذا هو كل ما دعى إليه **الكواكبي** طيلة حياته لكن هل تجسدت أفكاره بالفعل؟ للأسف أن أفكاره توفيت بوفاتهواستبدتمن بعد ه كماأستبد هو أيضا- فبعد معاناته في النفي والترحال وتعرضه للقمع لم تكتف الاعتداءات حتى في قبره- فهو يعاني التهميش والملاحقة ومحاولات لإخفاء تراثه وتصفية أفكاره وآرائه، لقد شهد ضريحه تعديات جمة وإهمالا متعمدا، أدى إلى سرقة سوره الحديدي وبناء مقهى على تخومه في ظل التوسعات العمرانية وشق الطرق الجديدة ما تسبب في تسرب كثير من الشكوك حول ضياع معالم المقبرة حيثاختلطت مع ما بجواره، وتحطم واجهة المكتوب عليها أبيات شعر حافظ إبراهيم التي رثاه بها.

ولم تكن آثار الإهمال تتوقف عند تجاهل الصيانة والترميم فقط الذي أنجزا بتعجل وعشوائية أديا إلى الإخفاق في تحديد قبره الذي يتوسط ضريحين آخرين، فحظي صاحب القبر على اليمين **الكواكبي** ببيتينلحافظ إبراهيم، ونقل رفاته عدة مرات لأسباب مجهولة.

لكن حفيدته السيدة **ضحى الكواكبي** لم ترضى حال مقبرة جدها التي أصبحت معرضة للإندثار، وطلبت من وزير الثقافة المصري ترميم المقبرة من أجل الحفاظ على إرث وتاريخ علمائنا وكتابناوهذا فعلا ما حصل وبدأت عملية الترميم منذ يونيو 2016.

لكن هذا الاندثار والإهمال لم يحدث لمقبرة **الكواكبي** فقط بل أنه حدث لشخصه أيضا ولم يعد يذكر لا في حياتنا ولا في دراساتنا رغم أهمية فكره، ولم نعرف قيمة هذا المفكر إلا بعد ما ضاقت بنا سبل العيش وتراكمت مشاكلنا وتغلغل الاستبداد في مجتمعاتنا لو أننا درسنا **الكواكبي** بحق وعرفنا معنى الاستبداد لما كانت حالتناليوم ،نعيش حالة تخلف وعدم استقرار بالإضافة إلى الصراعات وغيرها.لذلكأدعوا من خلال هذه الدراسة عن **الكواكبي** أن تكثف الدراسات حوله.

وخلاصة القول أن الإنسان مهما دار عليه الزمان وتغير عليه المكان، يسعى دوما إلى البحث عن أفضل وسيلة للعيش بكيفية تسمح له بالتوفيق بين رغباته الجامحة التي تفقده السيطرة على مستقبله وحكمة النبيلة التي تسعى دوما أن تجعله متميزا ومواكبا لمتطلبات عصره.

لا ندعي أننا قد توصلنا عبر هذا العرض المقدم بفصوله الثلاث إلى نتائج نهائية إن لم نقل أنها جزئية ساعين قدر الاستطاعة الإجابة عن الإشكالية المطروحة، وما توصلنا إليه يبقى عموما محلا للنقاش وإعادة النظر أو حافزا لفتح دراسات جديدة لأن الوتيرة التي يسير بها العالم اليوم تدفعنا نتنبأ بأن العالم العربي في المستقبل يحتمل اضطرابات وتغيرات مرهونة على الأفكار والوسائل المستخدمة في ذلك.

قائمة المصادر والمراجع

- **المصـــادر:**

- القرآن الكريم
- السنة
- عبد الرحمن الكواكبي: طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد، تق: أسعد السحمراني، – دار النفائس ، بيروت لبنان، ط3، 1427هـ –2006م،: أم القرى، المطبعة المصرية بالأزهر، دط، 1350هـ–1931م

- **المـــراجع:**

1- أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، لبنان – بيروت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1893.

2- أحمد بن حمد الخليلي، الاستبداد مظاهره و مواجهته، ط1، 1934هـ–2013م.

3- أحمد شبلي، السياسة في الفكر الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1992.

4- ألبرت حوراني حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798 – 1939،تر:كريمغرقول، دار النشر، بيروت لبنان،د ط.

5- المشروع النهضوي العربي،(مجهول المؤلف)،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت –لبنان ط1 فبراير 2010،ط2 أغسطس 2011.

6- جورج كثورة طبائع الاستبداد في طبائع الكواكبي، مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1407 – 1487.

7- جمال الدين الأفغاني و محمد عبده، العروى الوثقى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، وط.

8- جمال نصار، مستقبل الديمقراطية في بلدان الربيع العربي حالة تونس و مصر، مركز الجزيرة للدراسات، 13 مايو، آذار 2014.

9- جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج1، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، مدينة مصر – القاهرة، دط.

10- حسن الإدريسي، محمد عابد الجابري، و مشروع نقد العقل العربي، مركز الحضارة لتنمية الفكر العربي الإسلامي،بيروت،ط1، 2010 .

11- حسن السعيد، جدلية الدين الاستبداد، مكتبة مؤمن قريش،ط1، 1421هـ-2000م.

12- حسن محمد الزين، الربيع العربي، دار القلم الجديد ، بيروت لبنان، ط1، 1434هـ-2013م.

13- خالد محسن، مصر بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية، مركز الإعلام العربي، ط1، 1412هـ-1992م.

14- روحي ألخالدي، الانقلاب العثماني و تركيا الفتاة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة 6دط، القاهرة- مصر.

15- ربيع نصر وآخرون، الأزمة السورية الجذور والآثار الاجتماعية، تر: عاطف مبرصهمركز السوري للبحوث والدراسات، دق،2013.

16- زكي سليمان بيومي، التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين، الهيئة المصرية العامة للكتاب،دط،1893.

17- سعيد مراد، بحوث الفلسفة والتنوير، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ط1، 1995.

18- سعد زغلول الكواكبي، عبد الرحمن الكواكبي السيرة الذاتية، سبيان للنشر والتوزيع ط1، 1981.

19- سمير أبو حمدان، عبد الرحمن الكواكبي وفلسفة الاستبداد، الشركة العالمية للكتاب للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، دط، 1992م-1413هـ.

20- سهيل العروسي، دراسة في إشكالية الثنائيات في الثقافة العربية عبد الرحمن الكواكبي نموذجا، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، دط، 2003.

21- سيد بن حسين العفاني، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، ج1، دار ماجدة عبدي للنشر والتوزيع، ط1ظ، 1424هـ 2004.

22- صلاح جود أشير، ثورات الربيع العربي، دار وافد، دط.

23- عباس محمود العقاد، الرحالة ك عبد الرحمن الكواكبي، دط، نوفمبر 1959.

24- عباس محمود العقاد، الحكم المطلق في القرن العشرين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافةالقاهرة- مصر، دط.
25- عبد اللطيف حمزة، تاريخ الصحافة العربية في مصر، دار الفكر العربي، الكويت، ط3، 1985.
26- عبد القادر عودة، الإسلام و أوضاعنا السياسية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر- القاهرة،دط.
27- عبدالعزيز الخياط، وأمرهم شورى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة مدينة نصر، القاهرة،دط.
28- عثمان أمين، رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده، المجلس الأعلى للثقافة، دط.
29- عزت قرني، العدالة و الحرية في فجر النهضة العربية الحديثة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،د ط، جونيو1980.
30- علي محافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب أي عصر النهضة 1798-1814، الأهلية للنشر و التوزيع، ت ط .1985، 1978، 1991، 1983.
31- فهمي جدعان، أسس التقدم عند ألمفكري الإسلام، دار الشروق، ط1988،3.
32- فليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية،ج1، المطبعة الأدبية، بيروت 1913.
33- كمال عبد اللطيف، مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر، دار الطليعة، ط1،تموز- يوليو،1992.
34- ماجد الغرباوي، قضايا إسلامية معاصرة، إشكالية التجديد.دار الهادي للنشر والتوزيع،دط.
35- ماجدة حمود، فارس النهضة والأدب عبد الرحمن الكواكبي، منشورات اتحاد كتاب العربي، دط، دمشق،2001.
36- محمد الغزالي ،الفساد السياسي،نهضة مصر للطباعة والنشر، ط3،اكتوبر2005.
37- محمد الغزالي، الإسلام والاستبداد السياسي،نهضة مصر للطباعة والنشر،يناير 2005.
38- محمد جمال الطحان،أعمال الكواكبي غير الكاملة،سوريةحلب،ص ب1984،
39- محمد لطفي جمعة، حياة الشرق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة-مصر،دط.

40- محمد عابد الجابري، في نقد الحاجة إلى الإصلاح، مركز دراسات الوحدة العربية، دط، 2005
41- محمد عابد الجابري، الخطاب العربي، المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط1، 1982.
42- محمد عابد الجابري، إشكالية الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط3، 1995.
43- محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط3، 1995.
44- محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط3، 1995.
45- محمد عبد الرحمن برج، عبد الرحمن الكواكبي، النهضة المصرية العامة للكتاب،دط،1972.
46- محمد عبده، الأعمال الكاملة للإمام، تع: محمد عمارة، ج1، دار الشروق، ط1، بيروت-القاهرة، 1414هـ-1993م.
47- محمد عبده، تاريخ الأستاذ الإمام، ج1، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، والتصدير ، ط2، 1430هـ – 2006م.
48- حمد صفوت قابل، اقتصاديات الربيع العربي، ط1، 1433هـ- 2012م.
49- نادر كاظم، إنقاذ الأمل الطريق إمام الربيع العربي، مسعى للنشر والتوزيع ط1، 2013.
50- نوربيرت بيرو، الكواكبي المفكر الثائر، تر: علي سلامة، منشورات دار الأدب بيروت،حزيران يونيو، ط2، 1981.
51- يوسف القرضاوي، الإسلام والعلمانية وجها لوجه، مكتبة وهبة النشر، القاهرة، ط3.

- **المجـلات و الجرائـد**

1- أوس داوود يعقوب، عبد الرحمن الكواكبي في اللغة الفرنسية، مجلة الجديد، العدد13، 2015/08/18.

2- حسن جمعـة،الكواكبي فيلسوفا، مجلة الباحثـون، سوريا، العدد76+77، شباط-أذار2014.

3- عهد الفاضل، عبد الرحمن الكواكبي الإصلاحي الماضي الذي لا يمعني، مجلة المجلة، العدد 278، 5 مارس 2014.

4- محمد علي المحمود، الواقع السوري وأفاق المستقبل،جريدة الرياض، العدد17286 بيروت.

5- وسام سعادة، الربيع العربي و الفكر العربي، مجلة كلمن، العدد 5 شتاء، 2012 بيروت.

- **المـواقع الالكتـرونية.**

1- إبراهيم الحيدري، إشكالية الركود الاجتماعي، الاستبداد عند عبد الرحمن الكواكبي، الحوار المتمدن، العدد 4855، 713، 2005، 0047.

2- أمال زرنيز، مفهوم الثوري في الفكر العربي الإسلامي الحديث+ مقارنة بين عبد الرحمن الكواكبي ومحمد حسين النائيلي، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية، المملكة المتحدة – لندن، الاثنين 2010/05/24.

3- جمال الطحـان، الكواكبي بين الديـن والدولة، ديـوان العرب، الاثنـين20 آذار(مارس 2017(

4- حواس محمود، التقدم والاستبداد والثنائية المضادة بامتياز، منبر الحرية، ديسمبر2011.

5- عبد الرحيم خالص، عقل الحـداثة: بحث فـي سبيل النهـضة الفكـر العـربي والإسلامي المعاصر، أبريل2015.

6- محمد محفوظ، ربيع العرب + قراءة في التحولات العربية وتأثيرها على التسامح مركز أفاق دراسات والبحوث2012/04/27م.

7- يوسف تيجلي، قراءات في الفكر محمد عبده- إمام التنوير والحديث، كتابات، الأربعاء 20 أيار 2015، الساعة00.00 .

- **الموسوعات و المعاجم.**

1 -إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، دط، القاهرة، 1430هـ-1903م.

2 -أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تع: خليل احمد خليل، المجلد H-Q2، منشورات عويدات بيروت باريس، ط2، سنة 2001.

3 -جميل صليب، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، دق، بيروت- لبنان، 1982.

4 - عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 1984.

5 -مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي،دار أسامة للنشر والتوزيع الأردن- عمان، ط1، 2009.

6 -مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار القباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط5، القاهرة، 2007.

فهرس المحتويات

البسملة .....
الدعاء .....
إهداء .....
الشكر .....
قائمة المختصرات .....
المقدمة ..... أ
الفصل الأول :آليات و المنطلقات **10**
المبحث الأول: كرونولوجيا مفهوم التقدم 10
المبحث الثاني: السيرة الذاتية و العلمية للكواكبي 19
المبحث الثالث: الأوضاع السائدة في عصره 27
الفصل الثاني: نشاطه في المجال الاصلاحي **38**
المبحث الأول:أسباب فتور الدولة الإسلامية 39
المبحث الثاني: إصلاحاته من خلال عمله في الصحافة ووظائفه الحكومية 446
المبحث الثالث: التخلص من الاستبداد 58
الفصل الثالث: فكر الكواكبي من راهنية الى الاستشراف **81**
المبحث الأول: العلمانية في فكر الكواكبي 82
المبحث الثاني: فكرة أم القرى 90
المبحث الثالث: نتائج فكر الكواكبي على الواقع العربي 101
المبحث الرابع: نقد 112
الخاتمة **120**
قائمة المصادر و المراجع **128**
فهرس المحتويات **138**